المحور: ٥

الجهاديّون ما بعد داعش: من التحشيد إلى التشظّي

هشام محمود عليوان

الملخّص:

لم تكن الجماعات الجهادية في مقتبل تأسّسها الظرفي في أفغانستان كظاهرة ذات شأن في المعادلات السياسية، موحّدة في رؤيتها ولا في مناهجها ولا في أولوياتها ولا في أساليبها، بل كان اجتماعها في بيشاور بباكستان أوّلاً ولاحقاً في معارك القتال في أفغانستان، نوعاً من البراغماتية التي ستطبع غالب مسيرة هذه الجماعات، في مرحلة الاستضعاف، لكنّها سرعان ما ستنقلب إلى جموديّة متصلّبة في لحظات القوّة والاشتداد، باعتبار أنّ السمات الأخيرة هي أقرب إلى ماهيّتها وطبيعتها المنهجية.

كانت داعش طبقاً لذلك امتداداً عضوياً للتيار السلفي الجهادي، فافترقت عن القاعدة، افتراق الكلمات عن الأفعال، وابتعاد السياسات عن الميادين، وانفصام الأحكام عن المقاصد. فكانت لحظة الصعود السريع، لحظة عري منهجي لا مثيل لها، انكشفت فيها كلّ الخبايا والخفايا والمنعرجات.

ومع اندحار داعش اندحرت معه كل التيارات الجهادية بسرعة متفاوتة، حتى التي تصنّف اليوم كألدّ أعداء هذا التنظيم الدموي. والاندحار حالياً هو منهجيّ وفكريّ وليس بالضرورة ميدانياً وتنظيمياً حتى اللحظة. وآخر مستجداته، الخلاف المستحكم بين أبي قتادة الفلسطيني وأبي محمّد المقدسي، على وراثة التيار السلفي الجهادي بعد غياب كلّ المُنظِّرين الكبار للقاعدة، وضمور صورة الظواهري.

وعنوان الخلاف هو نفسه: البراء والولاء، أو التوحيد والشرك، معايير التكفير الجماعي والفردي، أو تكفير الطائفة وتكفير العين المفرد، موانع التكفير ومقاصده، وهوامش السياسة الشرعية أو الاحتياج إلى سياسة أصلاً بتحكيم المبادئ دون هوادة.

****

مقدّمة:

إنّ التيار الجهادي بمختلف اتجاهاته وتنويعاته، كان مهجوساً أكثر ما يكون، باجتذاب الجمهور إلى أفكاره وزجّه إياه في معاركه، وتغلغله في طبقات المجتمع كي يحصل على التمكين، مُذْ فشلت تجارب التغيير بالقوة في مصر وسوريا والجزائر وتونس وليبيا في غضون العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، قبل اجتياح السوفيات لأفغانستان عام ١٩٧٩ وبعده. وما كان يرغب فيه هذا التيار بشدّة، هو التخلّص من عقدة الهامشية التي لازمته إبان تأسيس كياناته المعاصرة، بسبب تبنّيه العنف المسلّح لتحقيق أهدافه. هذه الهامشية كما الأقلّية بالمقارنة مع التيارات الإسلامية السياسية الأكبر حجماً والأكثر انتشاراً، والتي عانت شعبياً هي كذلك، وإن بدرجة أقل، كانتا من معالم محدودية التيار من حيث الكمّ (عدد الأعضاء والأنصار عامّة) والنوع (مستوى المتضلّعين بالعلوم الشرعيّة خاصّة)، ونقص مشروعيته الشعبية، على الرغم من أنّ الجهاديين لا يستقون شرعيتهم الدينية بحسب منظورهم الخاص من عدد المؤيدين لهم، بل من مدى تمسّكهم هم بمقتضيات عقيدة التوحيد، ومنها الولاء والبراء، بحسب المنهج السلفي، أو مبدأ الحاكمية الإلهية كما تبدّى في كتابات المودودي وسيّد قطب، وما يعنيه من مواقف تجاه النُّظُم السياسية التي لا تطبّق أحكام الشريعة. ولذا، تُلاحظ في كتابات أجيال المنظّرين الجهاديين إشارات متفاوتة إلى القاعدة الشعبية المطلوب توافرها أو الحاضنة وفق أدبيات المتأخرين منهم خاصة، من أجل نجاح المسيرة العامة وإنجاز المهمّات المرحلية (التكتيكية) وصولاً إلى إقامة الدولة الإسلامية أو استعادة الخلافة بعبارة أخرى في المدى الاستراتيجي.

لكن في أحسن حالات الاستقطاب الشعبي، إبّان الربيع العربي، ارتهن نجاح التيار الجهادي بمدى قدرته الإقناعية على التصدي لفكرة الديمقراطية والاحتكام إلى صناديق الاقتراع، وهو ما جعله في صدام مزدوج، الأول مع النظام السياسي المراد تغييره، والثاني مع القاعدة الشعبية المراد استقطابها لإحداث التغيير، وذلك لأنّ حاكمية الشريعة تتناقض مع جوهر الديموقراطية والتي مؤداها حاكمية الشعب. وهذه المعضلة النظرية والواقعية في آن، كانت عائقاً أساسياً أمام الجهاديين الذين ظلّوا سنوات طويلة على هامش المجتمع، بل خارجه في المنافي إن لم يكونوا في السجون، في حين أنّ جماعات الإسلام السياسي تمكّنت من المناورة على مبدأ حاكمية الشعب، في المرحلة التي أعقبت نكسة حزيران (يونيو) ١٩٦٧، والتي كانت بمثابة إعلان وفاة للمشروع الناصري القومي في المنطقة. وانخرطت هذه الجماعات تدريجياً في أواليات الديمقراطية باستعمال تبريرات واقعية وفتاوى شرعية.

ولذلك، عندما رأى أسامة بن لادن في انتفاضات الربيع العربي فرصة تاريخية لتحقيق ما يطمح إليه، من تغيير النُّظُم السياسية العربية، ألمح إلى المفارقة مع ذلك، محاولاً التوفيق بين نقيضين: نبذ الديموقراطية ذات المنطلق الغربي من جهة وإقامة الدولة الإسلامية على الطريقة التقليدية، من جهة أخرى. وبما أنّ الجمهور المنتفض في شوارع تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا عام ٢٠١١، كان يتطلع إلى منظومة الحقوق والحريات وإلى العدالة الاجتماعية، فقد كان هذا متضارباً صراحة مع مشروع تنظيم القاعدة ومنهجه في التغيير من ناحيتين: الأولى أنّ مخرجات الثورة أو الانتفاضة الشعبية تتماهى من حيث المبدأ مع الديمقراطية ولو بالحدّ الأدنى، وليس الدولة الإسلامية، والثانية أنّ التغيير السياسي ممكن سلمياً، في حين أنّ القاعدة وشقيقاتها في العالم الإسلامي، قامت على أساس آخر في التغيير، وهو الجهاد.

ومع ذلك، حاول قادة القاعدة استمالة الجماهير إلى المشروع الجهادي، واستغلال الفوضى الطارئة من أجل استقطاب أجيال جديدة من الشباب، والتوسع تنظيمياً في مناطق جديدة، وهذا ما حدث بأفضل بكثير مما كان يحدث قبل الربيع العربي. وبالمقابل، تسبّب التوجه البراغماتي للقاعدة استيعاباً لثورة الشباب، بانشطار القاعدة نفسها، بل لنقلْ بعبارة أخرى، بتظهير التناقض الكامن داخل التيار الجهادي منذ سنوات طويلة. فاستقلّ الجناح الرافض للمساومة على مبدأ الحاكمية ولو بنوع من البراغماتية المؤقتة، لا سيما تنظيم "دولة العراق الإسلامية"، الذي تحوّل إلى "الدولة الإسلامية في العراق والشام" عام ٢٠١٣، مع انتشار أنصارها في هذين البلدين المضطربين، ثم إلى خلافة عام ٢٠١٤ مع سقوط ثلث العراق بيدها في عملية عسكرية مفاجئة وخاطفة، فضلاً عن الهيمنة على نصف سوريا، وإلحاق الهزيمة بقوات المعارضة السورية في مناطق كثيرة، ومنها ما هو بالغ الأهمية استراتيجياً واقتصادياً، ممّا جعل مصير النظام والمعارضة معاً رهينة لدى التنظيم.

إنّ التجربة القصيرة لـ"الدولة الإسلامية في العراق والشام" بزعامة أبي بكر البغدادي ما بين إعلانها إلى لحظة سقوط آخر معاقلها الحَضَرية في سوريا أواخر آذار/مارس ٢٠١٩، وما يتعرض له التيار الجهادي عامة من اهتزازات وتشققات راهنة، إثر صدمة الانقسام الدموي بين أكبر تنظيمين جهاديين هما "القاعدة" و"الدولة"، ثم التنازع المستحدث داخل التيار الجهادي المعادي لداعش على كيفية إنزال مبدأ الولاء والبراء على الواقع، أي بين القاعدة والمنشقين عليها في سوريا، فضلاً عن الانشقاق السابق زمنياً داخل داعش نفسها بين أنصار البغدادي من جهة وتيار أكثر تشدداً لجهة التكفير من دون

إعذار الجاهل من جهة أخرى، لَهُوَ مما يؤشر على مستقبل تلك الجماعات، ويوحي بمزيد من التشظي والانشطار، وهو ما يتعارض مع سياق طويل من التحريض والتحشيد منذ ما قبل ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، وصولاً إلى ذروة الانتشار والاستقطاب في الربيع العربي بدءاً من عام ٢٠١١، وإلى لحظة إعلان خلافة البغدادي عام ٢٠١٤.

إنّ مدار البحث هو الإشكالية الرئيسية التالية: هل يمكن للفكر الجهادي أن يكون مناط احتشاد شعبي نسبي في ظروف ما بعد صدمة الربيع العربي أم يظلّ بؤرة مضادة للاحتشاد والاجتذاب من شأنها التنفير والتشتيت، في الراهن والمستقبل؟

للإجابة عن هذه الإشكالية، لا بد من ارتياد النصوص الأصلية لتلك الجماعات، وسبر أولياتها وفق منطقها الخاص، وذلك من أجل تبيان تناقضاتها الداخلية وتعارضاتها مع قواعد التمكين والقوة في سياق طبيعي. وقد أفسحت التطورات الدرامية ما بين عامي ٢٠١١ و٢٠١٤ في كشف كثير مما هو مستور، من مراسلات "القاعدة" ومواقفها، لا سيما بإزاء التجربة العراقية مع أبي مصعب الزرقاوي وخلفائه في العراق. كما أنّ اغتنام ثروة معلوماتية هائلة من الملفات والوثائق التي صادرها الأمريكيون، من مجمع أبوت أباد بباكستان عقب قتل بن لادن في ٢ أيار/مايو ٢٠١١، منح الباحثين فرصة نادرة لجمع صورة متكاملة عن خارطة طريق الجهاديين عموماً، وجملة مواقفهم وخلافاتهم وتناقضاتهم، ما يفرض تجديد الجهود، لمقاربة أكثر دقة.

وينقسم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول تتناول السياق الجهادي وفق تحقيب رباعي: ما قبل القاعدة، القاعدة وأخواتها، زمن داعش، ما بعد داعش.

أوّلاً، من اعتزال المجتمع إلى بناء القاعدة الصلبة

يُعتبر سيّد قطب نقطة التحوّل في مسار تكوّن الجماعات الجهادية من رحم جماعة الإخوان المسلمين في مصر. وعلى الرغم من تنظيراته في المجتمع الموسوم منه بالجاهلية، وحتمية المفاصلة معه، والانعزال عنه، وخاصة من خلال كتابه **معالم في الطريق**، إلاّ أنّ الجماعة الأم في العالم العربي،

[1]- يروي عباس السيسي العضو السابق لمكتب الإرشاد في جماعة الإخوان عن سيّد قطب قوله إنّ المقصود من المفاصلة مع المجتمع الجاهلي هو المفاصلة الشعورية التي لا بد أن تنشأ تلقائياً لدى المسلم الملتزم تجاه من لا يلتزمون

والتي عادت إلى العمل الشعبي بعد انقضاء المرحلة الناصرية، واندرجت في الانتخابات النيابية بطريقة أو بأخرى، إلى حين ثورة كانون الثاني/يناير ٢٠١١، لم تتبرأ من قطب، بل استندت إلى أدبيّاته في التأطير الأيديولوجي لأجيال الشباب، وكانت مفاهيم قطب لا سيما الحاكمية والجاهلية والمفاصلة معها، أسانيد أساسية للفكر التكفيري الناشئ في السجون، قبل أن ينتشر في أجيال الجماعات المتشددة. ولا يمكن إدراك التصوّر الانعزالي لقطب عن المجتمع، من أجل تكوين المجتمع الإسلامي الحقيقي خارج بنى المجتمع الجاهلي حسب توصيفه، إلاّ بالنظر إلى حال الإحباط الذي لابس قطب وقادة الإخوان في زمن الرئيس ذي الكاريزما المؤثرة والشعبية العريضة جمال عبد الناصر، حيث كان قطب يعبّر عن يأسه من إمكانية حشد عموم الناس وراء جماعة الإخوان مع تتابع المحن التي تعرّضوا لها، منذ اغتيال حسن البنا مؤسّس الحركة عام ١٩٤٩ في عهد الملك فاروق. وفي كلّ مرّة كانوا يجدون أنفسهم منفردين معزولين عن الجمهور[٣].

وفيما يمكن اعتباره المرجع النظري للجماعات الجهادية في تعاملها الراهن مع الحراكات الشعبية، لجهة تشديدها على الهوية النقية للراية المنصوبة، بغض النظر عن موقف الأكثرية في مجتمع ما، يقول سيّد قطب: إنّ المجتمع العربي في زمن بعثة النبي، كان يعاني من اختلال طبقي حاد بين قلة تملك المال والتجارة و"كثرة كثيرة لا تملك إلاّ الشظف والجوع"[٤]. وكان بمقدور النبي رفعها راية اجتماعية ضد

بأوامر الإسلام، لا المفاصلة الحسية المادية، وإلاّ كيف تكون دعوة المجتمع عند ذلك؟ لكن النص الصريح في كتاب **معالم في الطريق** لا يميّز بين المفاصلة الشعورية من المفاصلة العضوية، ثم إنّ قطب دعا إلى ابتعاد المسلمين عن أن يكونوا أفراداً في التجمّع الجاهلي الحركي فكيف يبقون بين صفوفه مع التزام المفاصلة الشعورية؟ إنّ المغزى غامض ومتناقض في ذاته. انظر عباس السيسي، **في قافلة الإخوان المسلمين**، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٣، ج٤، ص٧٩١.

[١]- بدأ تداول الفكر التكفيري بين المعتقلين من الإخوان في محنة ١٩٦٥ وما بعدها، بالاستناد إلى كتابات قطب، لكن مرشد الإخوان حسن الهضيبي أرسل خطاباً من محبسه يقول فيه إنّه لا يعلم لقطب فكراً مغايراً لفكر الإخوان. المصدر نفسه، ص٧٨٨.

[٢]- ظهر تيار التكفير في مصر في مرحلة الستينيات، وانقسم على مفهوم المفاصلة الذي قال به سيّد قطب، فقسم قال بالمفاصلة الشعورية عن المجتمع الجاهلي معتبراً نفسه في مرحلة الاستضعاف، وهؤلاء كفّروا من أخذ سبيل القوة للتغيير. أمّا القسم الثاني فتبنّى فكرة المفاصلة العضوية الصريحة وبرز أتباعه باسم "جماعة المسلمين"، وكفّروا من خالفهم كما كفّروا من لم يكفرهم ومنهم جماعة الإخوان. انظر: سالم البهنساوي، **الحكم وقضية تكفير المسلم**، المنصورة، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٤، ص٢٨-٣٠، ١٤٣-١٤٥.

[٣]- انظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٧، ص٣٨١-٣٨٢.

[٤]- سيّد قطب، **معالم في الطريق**، القاهرة، دار الشروق، ط٦، ١٩٧٩، ص٢٥.

طبقة الأشراف، ولانحازت "الكثرة الغالبة مع الدعوة الجديدة" ، فيغلب بها القلة، و"يستخدم مكانه يومئذ [١] وسلطانه في إقرار عقيدة التوحيد التي بعثه بها ربه، وفي تعبيد الناس لسلطان ربهم بعد أن عبّدهم لسلطانه البشري" . وكذلك لو كانت دعوة أخلاقية، "لاستجابت في أول الأمر جمهرة صالحة، فتطهر أخلاقها وتزكو أرواحها، فتصبح أقرب إلى قبول العقيدة وحملها بدلاً من أن تثير دعوة لا إله إلا الله المعارضة القوية منذ أول الطريق" . لكن وبحسب تعبير قطب، "إنّ الله سبحانه كان يعلم أنّ هٰذا ليس هو الطريق، بل "لما تقرّرت العقيدة بعد الجهد الشاق، وتقرّرت السلطة التي تركن إليها هذه العقيدة [...] وتطهّر المجتمع من الظلم الاجتماعي برمته [...] وتطهّرت النفوس والأخلاق"، فعند ذلك، استقامت معادلة التغيير، حسب الترتيب الزمني التالي: استقرار عقيدة التوحيد في النفوس ومن ضمنها الحاكمية في التشريع، ثم انحلال المشكلات الاجتماعية والأخلاقية وسواها على نحوٍ تلقائي .

وبحسب قطب، فإنّ المجتمع المنقسم بين مسلمين وجاهليين لا يمكن أن يبقى كما هو دونما تمايز، فلا يمكن للمسلمين أن يكونوا أفراداً ضمن الكيان العضوي للتجمّع الحركي الجاهلي القائم فعلاً. فإنّ وجودهم على هذا النحو مهما كثر عددهم لا يمكن أن يؤدي إلى "وجود فعلي" للإسلام، ولأنهم سيظلّون مضطرين حتماً للاستجابة للمطالب العضوية لهذا المجتمع، وسيقومون "فعلاً" بتقوية المجتمع الجاهلي الذي يعملون "نظرياً" لإزالته، بدلاً من أن تكون حركتهم في اتجاه تقويض هذا المجتمع الجاهلي لإقامة المجتمع الإسلامي . وعلى هذا، فإنّ العلاقة بين المجتمعين هي علاقة نفيْ متبادل، وإنّ إقامة مجتمع إسلامي لا يكون إلا بالغلبة على المجتمع الجاهلي. أمّا السبيل إلى ذلك، فهو نشوء "تجمّع عضوي حركي أقوى في قواعده النظرية والتنظيمية، وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه، من ذاك المجتمع الجاهلي القائم فعلاً" [٦].

فلا يقوم المجتمع المسلم بنظره لمجرّد قيام القاعدة النظرية في قلوب أفراد مهما بلغت كثرتهم، إن لم يكونوا في تجمّع عضوي متناسق، له وجود مستقل يعمل أعضاؤه على تأصيل وجوده وتعميقه

---

[١]- المصدر نفسه.

[٢]- المصدر نفسه، ص٢٦.

[٣]- المصدر نفسه، ص٢٨.

[٤]- المصدر نفسه، ص٢٨-٣٠.

[٥]- المصدر نفسه، ص٤٩.

[٦]- المصدر نفسه، ص٤٨.

وتوسيعه، وعلى الدفاع عن كيانه ضد العوامل التي تهاجمه. وهم يعملون في هذا تحت قيادة مستقلة عن قيادة المجتمع الجاهلي، تنظّمهم وتنسّق تحركهم، لتعميق وجودهم الإسلامي وإزالة الوجود الآخر الجاهلي .[١]

أما دور شقيقه محمد قطب، بإزاء تلك الكتابات المثيرة للجدل وذات المعاني الملتبسة، فكونه شارحاً لآرائه، ومبرّراً لما سطّره شقيقه من قبل، وضابطاً لما انفلت من القواعد الشرعية لا سيما في تعميماته وإطلاقاته، التي يتسم به أسلوب سيّد قطب الأدبي. وتمثّل كتابات قطب الشقيق مصدراً مهماً لإدراك مقاصد سيّد قطب ودوافعه وقراءته العامة للمنهج الإخواني حتى تاريخ إعدامه عام ١٩٦٦. في البدء، يقدّم محمّد قطب مراجعة نقدية لمنهج العمل عند حسن البنّا، معتبراً أنّ مؤسس الجماعة كان يرى أنّ التسلسل الزمني لإقامة الدولة الإسلامية يكون كما يلي: بناء الفرد المسلم، فالأسرة المسلمة، فالمجتمع المسلم، فالدولة المسلمة .[٢] وعليه، اعتمد البنّا أسلوب الحشد الجماهيري دون مفاصلةً في المنهج ولا تمييز بين أعضاء الجماعة، فانضم إليها مئات الآلاف من الناس وكانوا نماذج شتى واتجاهات شتى .[٣] ولهذا، حين جاءت الضربة عام ١٩٤٨-١٩٤٩، أي حلّ جماعة الإخوان ثم اغتيال البنّا، فرّ كثير من تلك الجموع وبقي فقط الشباب النظيف المتطهّر، حسب تعبيره، ومع ذلك لم يبقَ كله. فمن بقي داخل الجماعة بعد الضربة القاصمة كانوا هم الذين تربّوا بالفعل على يد البنّا، والذين كانوا في تقسيمه يسمّيهم الإخوان العاملين، وإن كان كثير من هؤلاء قد ظهرت عليهم فيما بعد آثار التعجّل في التكوين والحركة .[٤] ويلاحظ محمد قطب أنّ الجماهير يمكن أن تجتمع من تلقاء نفسها لتحقيق مطالب مادية، بخلاف الأمر عندما تكون القيم هي القضية، وعندئذ لا بد من قيادة متمثّلة برجال الدين .[٥] أمّا السبب الرئيسي لفشل البنّا، وكأنه يتحدث بلسان شقيقه سيّد، فهو افتراضه أنّ "القاعدة الإسلامية" موجودة بالفعل، وأنّ المطلوب ليس إنشاءها من جديد، وإنما هو تجميعها وبثّ الحركة فيها وتنظيمها وقيادتها وتوجيهها إلى العمل المطلوب .[٦] ويستدلّ قطب على وجود هذا الخلل في فهم معنى التوحّيد، وإلاّ كيف تسكت الجماهير عما

---

[١]- سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، القاهرة، دار الشروق، ط٣٢، ٢٠٠٣، م٣، ص١٥٥٧.

[٢]- محمّد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٣٨١-٣٨٢، معتمداً في ذلك على ما ورد في رسالة حسن البنّا بعنوان "أيّها الشباب".

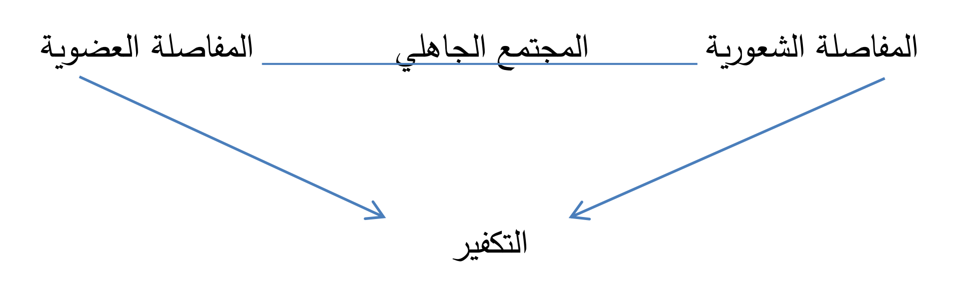
[٣]- المصدر نفسه، ص٣٨١-٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٦.

[٤]- المصدر نفسه، ص٣٨٨.

[٥]- المصدر نفسه، ص٣٨٩.

[٦]- المصدر نفسه، ص٣٩٩.

يحدث لداعية الإسلام ولأنصاره، بل كيف تصفّق للسلطة؟ وعليه، فإنّ أولى الخطوات بحسب محمد قطب، لإقامة القاعدة الإسلامية، هي إزالة هذه الجهالة من حياة الناس، وذلك لأنّ "الحكم الإسلامي لن يقوم بمجرّد وجود جماعة مؤمنة مجاهدة تنادي بتحكيم شريعة الله. فأياً كانت الوسيلة المتخيّلة لوصول هذه الجماعة إلى الحكم، فإنه لا بدّ لكل حكم من سند يسنده ويدافع عنه مما يتعرّض له من كيد الأعداء" [1]، أي لا بد من جمهور عريض في المجتمع يسند هذه الجماعة ويحميها. أمّا ما هو مطلوب لكي يقوم الحكم الإسلامي، فهو "أنّ توجد القاعدة المسلمة بالحجم المعقول الذي يقود خطى الأمة كلها في سبيل تحقيق ذلك الهدف الضخم" [2].



رسم بياني رقم ١

ومع عبد الله عزّام، ينتقل فكر سيّد قطب إلى مرحلة نوعية جديدة، إذ لا يخفي عزّام تأثره العميق به، نموذجاً وآراءً وكتاباتٍ [3]. وإن قراءته لمآلات التجربة الإخوانية بنسختها القطبية القصيرة على وجه الخصوص، جعلته ينحو منحى مختلفاً في نظرته للقاعدة الشعبية المطلوب توافرها من أجل إقامة الدولة الإسلامية. فبعد أن فشلت الجماعات الجهادية في مصر وسوريا في قلب نظام الحكم فيهما، فضلاً عن فشلها في استقطاب الجماهير، رأى عزّام أنّ هذه المجتمعات قد تلوثت بالحضارة الغربية، بل غرقت في الجاهلية بحسب ما صرّح سيّد وأخوه، وأنّ المخرج من المأزق هو باختيار مجتمع آخر ما زال على فطرته كي يكون هو القاعدة الشعبية اللازمة لبناء المشروع الإسلامي، وغايته إقامة الدولة. وهذا المجتمع المختار هو المجتمع الأفغاني حسبما رأى من تجربة العمل في مكتب خدمات المجاهدين، الذي أسّسه وأداره إلى حين اغتياله في بيشاور عام ١٩٨٩، إبّان حرب التحرّر من الاحتلال السوفياتي، وهو ما

[1] – المصدر نفسه، ص٤٠٣.

[2] – المصدر نفسه، ص٤٠٤.

[3] – انظر كتابه: عملاق الفكر الإسلامي، من **موسوعة الذخائر العظام فيما أُثر عن الإمام الهمام الشهيد عبد الله عزّام**، إعداد محمود سعيد عزّام، مركز الشهيد عزام الإعلامي، بيشاور، ط١، ١٩٩٧، مجلد١، ص٨٠٢-٨٢٣.

يفسح المجال أمام تطبيق عملي لفكرة المجتمع المسلم الحقيقي كما تصوّره قطب. فإن كان سيّد قطب قد قصد من المفاصلة مع المجتمع الجاهلي، مجرّد المفاصلة الشعورية لا العضوية، فإنّ تصوّر عبد الله عزّام، يتخطّى هذه المفارقة، إلى تطبيق المفاصلة العضوية بإقامة دولة إسلامية في بيئة صالحة بنظره، هي البيئة الأفغانية، من دون تجشّم عناء الصراع داخل المجتمع الجاهلي الموسوم من قطب، أو الدخول في متاهة المصطلحات التي غرقت فيها التيارات القطبية المتصارعة في محاولة تأويل عباراته.

في هذا السياق، يقول عزّام إنّه من بين دواعي الجهاد المعاصر إقامة القاعدة الصلبة التي تكون منطلقاً للإسلام . ويعتبر أنّ "إقامة المجتمع المسلم فوق بقعة أرض، ضرورية للمسلمين ضرورة الماء والهواء. وهذه لن تكون إلا بحركة إسلامية منظمة، تلتزم الجهاد واقعاً وشعاراً، وتتخذ القتال لحمة ودثاراً" . ويضيف قائلاً: إنّ "الحركة الإسلامية لن تستطيع إقامة[٢]المجتمع الإسلامي إلاّ من خلال جهاد شعبي عام، تكون الحركة الإسلامية قلبه النابض وعقله المفكّر، وتكون بمثابة الصاعق الصغير الذي يفجّر العبوة الناسفة الكبيرة، فالحركة الإسلامية تفجّر طاقات الأمّة الكامنة" . وفي ذلك، ينتقد ضمناً منهج الجماعات الجهادية التي تظنّ أنّه بإمكانها بناء مجتمع إسلامي بحفنة من الضبّاط، "فهذا ضرب من الخيال، أو وهم يشبه المحال، لا يعدو أن يكون تكراراً لمأساة عبد الناصر مع الحركة الإسلامية مرّة أخرى" . فبرأيه، إنّ الشعب ضروري للحركة الإسلامية بقدر ضرؤرة الجهاد، "ولا تستطيع حركة إسلامية مهما كانت أن تواصل حرباً طويلة الأمد ضد دولة، لو كانت صغيرة، فضلاً عن أن تقف سنوات أمام دولة كبرى، والحركة إذا عُزلت عن الشعب فقد قضت على نفسها بالموت" . ويؤكد عزّام أنّ "الدولة الإسلامية لا يمكن أن تقام إلاّ من خلال جهاد شعبي طويل تتميّز فيه أقدار الناس وتتحدّد مقاماتهم، فلا يبخس الناس بعضهم مقادير بعض. ومن خلال هذه المسيرة، تبرز القيادات الحقيقية من خلال الشجاعة والتضحية، ويكون الخليفة أحد هؤلاء المجاهدين" . ولأنّ هذه الدولة تقوم على قاعدة شعبية مسلّحة فلا ٦

---

[١]– عبد الله عزام، اِلْحَقْ بالقافلة، من **موسوعة الذخائر العظام**، مجلد١، ص١٧٨.

[٢]– المصدر نفسه، ص١٨٤.

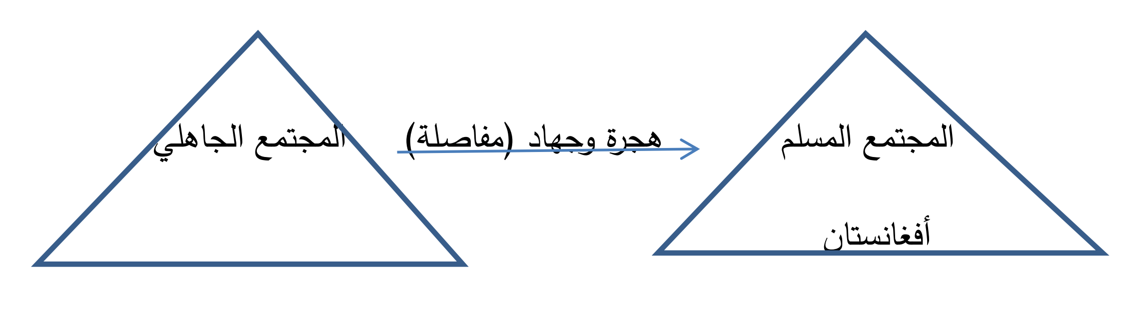
[٣]– المصدر نفسه.

[٤]– المصدر نفسه، ص ١٨٥. أما أبو مصعب السوري (مصطفى ست مريم نصار)، فيكشف أنّ تنظيم الجهاد المصري كان يعمل على زرع أعضائه في صفوف الجيش المصري تهيئة لساعة الصفر، أي تنفيذ خطة الانقلاب، انظر كتابه: **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**، ٢٠٠٤، ج١، ص٧٣٨.

[٥]– انظر **مجلة الجهاد**، العدد السابع والثلاثون، ربيع الثاني ١٤٠٨هـ الموافق ديسمبر ١٩٨٧م، ص١٠١.

[٦]– المصدر نفسه.

يمكن الانقلاب عليها عسكرياً . فالمبادئ تحتاج إلى طليعة كحاجة الطليعة إلى الدعم[١] الشعبي، "وهذه الطليعة تمثّل القاعدة الصلبة للمجتمع المأمول" . [٢]



رسم بياني رقم ٢

ثانياً، طليعة "القاعدة" بدلاً من الدولة القويّة

إنّ اغتيال عبد الله عزام عام ١٩٨٩ لم يكن فقط ختام مرحلة وبدء مرحلة مختلفة نوعياً، بل كان مؤشراً جليّاً على فشل الفكرة التي بشّر بها، وهي أن تكون أفغانستان القاعدة الصلبة لقيام الدولة الإسلامية. فالمجاهدون العرب، والذين يمثّلون الطليعة، بحسب عزّام، لم يتخلصوا من خلافاتهم الأيديولوجية والتنظيمية والرؤيوية، ولم يتوافقوا على بناء الدولة الإسلامية في أفغانستان أولاً . أمّا الفصائل الأفغانية ذات الانتماءات الفكرية المتنوّعة والأصول القومية المتناحرة، فقد انزلقت في حرب أهلية دموية، ظهرت بوادرها قبل الانسحاب السوفياتي المفاجئ عام ١٩٨٩ ، وانطلقت شرارتها عام ١٩٩٢ مع انهيار النظام الشيوعي ودخول أحمد شاه مسعود إلى كابول ، إلى أن ظهرت حركة طالبان

---

[١]- المصدر نفسه، ص١٠١-١٠٢.

[٢]- المصدر نفسه.

[٣]- تأسّست معسكرات ومضافات خاصة بالجماعات الجهادية خارج إطار مكتب خدمات المجاهدين التابع لعزّام، وقسم من هذه المضافات احتضنت أفكاراً تكفيرية للأنظمة الحاكمة وحتّى للفصائل الأفغانية، وجزء منها نشأ حتى بعد ظهور حركة طالبان، فاستنكف روّادها عن القتال معها لأسباب عقدية، انظر: عبد الله أنس، **ولادة الأفغان العرب، سيرة عبد الله أنس بين مسعود وعبد الله عزّام**، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٢، ص٧٣، ٩٠-٩١.

[٤]- أقدم قائد ميداني في الحزب الإسلامي الذي يتزعمه قلب الدين حكمتيار على قتل ٣١ قائداً من الجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين رباني، وذلك في ٩ تموز (يوليو) ١٩٨٩، حتّى كادت الحرب أن تنشب بين الفصيلين لولا وساطة عبد الله عزام وصهره عبد الله أنس. انظر: المصدر نفسه، ص٧٣-٨٣.

[٥]- المصدر نفسه، ص٩٣-٩٨.

في قندهار عام ١٩٩٤، فراحت تحصد النفوذ وتكنس الفصائل في طريقها إلى كابول. أمّا أسامة بن لادن، وقبل سنوات قليلة من اغتيال أستاذه، بدأ يختطّ طريقه المستقل عنه، فأسس مأسدة الأنصار داخل أفغانستان عام ١٩٨٦ ، مبتعداً عن مكتب خدمات المجاهدين في بيشاور، ومخالفاً توجيهات عزّام بشأن عدم التدخل العسكري المباشر في الشأن الأفغاني. وهذه القاعدة العسكرية العربية الأولى داخل أفغانستان، هي التي ستوحي باسم "القاعدة" عَلَماً على تنظيم جهادي تأسس عملياً أواخر عام ١٩٨٧ . ولم يكن الاسم معتمداً رسمياً قبيل هجمات ١١ أيلول/سبتمبر، ففي البدء أعلن بن لادن "الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين" عام ١٩٩٦، ثمّ أعلن تأسيس الجبهة العالمية لجهاد اليهود والصليبيين في شباط (فبراير) عام ١٩٩٨، وكان توقيع بن لادن على بيان التأسيس بصفته الشخصية، لا على كونه قائداً لتنظيم مّا اسمه القاعدة، وكأنّه يختزل التنظيم بشخصه . أما تفجير سفارتي الولايات المتحدة في نيروبي ودار السلام، في العام نفسه، فكان باسم جيش تحرير المقدّسات . لكن هذه التسميات كلها لم تصمد طويلاً، وبقي اسم القاعدة الذي اشتهر إعلامياً، فالتصق بتنظيمه ، حتّى إنّ بن لادن راودته فكرة تغيير الاسم بعد سنوات ليكون أكثر تعبيراً عن طبيعته وأهدافه وليكون أكثر جاذبيّة . ٣

[١]- مصطفى وليا فارال في حوار، **العرب في حرب أفغانستان**، ص٨٣، والنسخة العربية مأخوذة من موقع مافا السياسي: https://www.mafa.world/2016/11/24.

[٢]- المصدر نفسه، ص١٠٣.

[٣]- ينظر جايسون بيرك (Jason Burke) إلى التنظيم بطريقة مختلفة ويقول إنّ بن لادن قرّر عام ١٩٨٨ في مدينة بيشاور الباكستانية مع عدد من المقرّبين منه تنفيذ اقتراح عزّام بخصوص تأسيس جيش إسلامي أممي يتولى الدفاع عن المسلمين المضطهدين في أيّ مكان من العالم. وكان السوفيات قد أعلنوا عن رغبتهم بالانسحاب في ذلك العام، وبدأت تتلاشى وحدة الهدف التي جمعت المجاهدين العرب خلال تلك السنوات. فكانت البداية ببضعة عشر رجلاً لم يسمّوا أنفسهم في تلك المرحلة بهذا الاسم، رغم أنّ أتباع بن لادن كانوا يُعرفون مطلع ١٩٩٠ بأنهم جماعة القاعدة، فيما لم تحتوِ **موسوعة الجهاد** التي وُضعت في باكستان ما بين ١٩٩١ و١٩٩٣، وتضمّ في مجلداتها الإحدى عشرة زبدة التجربة الأفغانية من حيث الأساليب والتقنيات القتالية، أيّ إشارة إلى "القاعدة". انظر كتابه:

Al-Qaeda, *The True Story of Radical Islam*, Penguin books. Third edition, 2007, p.1-3.

[٤]- أيمن الظواهري، **فرسان تحت راية النبي**، ط٢، مؤسسة سحاب، ج٢، ص١٨٩.

[٥]- يعتقد الباحث السريلانكي روهان غوناراتنا (Rohan Gunaratna)، أنّ "القاعدة" هي التطبيق العملي لفكرة أطلقها عبد الله عزّام قبيل أشهر من التأسيس الأول حيث جاء الاسم مستلهَماً من تنظيره لما سمّاه بـ"القاعدة الصلبة". وبرّر غوناراتنا عدم استخدام اسم القاعدة إطلاقاً في كل البيانات الصادرة عن التنظيم، وإلى حين وقوع هجمات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، بالسريّة الشديدة التي التزمها كأسلوب عمل، حيث استخدم أسماء أخرى، مثل الجيش الإسلامي لتحرير المقدّسات والجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين. انظر:

وما دفع بن لادن إلى التمايز عن عزّام، قراءته المتشائمة لمآل الأمور في أفغانستان. فالتجربة الأفغانية كانت برأيه فرصة نادرة لإقامة الدولة الإسلامية منذ سقوط الخلافة العثمانية. ويقول إنّ الغرب "استعان بأيّ شيء لدفع الاتحاد السوفياتي، ولو كان بالمجاهدين أو الأصوليين، ففُتح ذلك الباب" . وبرأي بن لادن، فإنّ هذه الفرصة ضاعت، ولم تنهض الأمّة بواجبها، وخاصة منهم العلماء والدعاة والخطباء والجماعات الإسلامية، وأنّ حجم الدعم من الرجال والأموال كان ضئيلاً، ولم يكن كافياً لإقامة دولة قوية . ويُرجع بن لادن فشل المشروع، إلى انشغال الجماعّات الجهادية التي استوطنت في أفغانستان إلى قبيل سقوط طالبان، باعتبارات قُطرية، "حيث كلٌّ يريد أن يقيم هو شخصياً دولة الإسلام، وكلّ جماعة تريد أن تقوم الدولة الإسلامية في أرضها، وكأنهم أسرى لهذه الأفكار" . وحتى مع قيام دولة طالبان، بقي الناس أسرى لأهوائهم وللإعلام العالمي الذي شنّ حملة لا هوادة فيها ضدّ الحركة الناشئة .

وتبعاً لهذه القراءة، سلك بن لادن خطاً متناقضاً مع توجّه عزّام. فبدلاً من الحفاظ على مشروع الدولة الإسلامية في أفغانستان، وكانت حركة طالبان في مطلع أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، على وشك إيقاع الهزيمة الكاملة بالتحالف الشمالي بقيادة أحمد شاه مسعود، والسيطرة على كل أفغانستان، نفّذ بن لادن وعيده مهاجماً برجي مركز التجارة العالمي ومبنى البنتاغون في نيويورك وواشنطن بالطائرات المدنية المخطوفة في ١١ من هذا الشهر، وكان الرد الأمريكي العنيف بكل المقاييس، متوقعاً من دون شك، مهدّداً دولة طالبان، وقد سقطت فعلاً. فكان هذا الحدث الخطير، أي "غزوة الطائرات"، مخالفاً لقواعد السياسة، سواء من منظور قواعد المصالح والمفاسد في الشريعة، أو من منظور السياسة الحديثة، وحتى

Rohan Gunaratna, *Inside Al-Qaeda, Global Network of Terror*, New York, Columbia University Press, 2002, p.3-4.

[١]- يستشير بن لادن في إحدى الرسائل الداخلية فكرة تغيير اسم تنظيم قاعدة الجهاد، فيقول إنّ اسم قاعدة الجهاد ينتشر باسم القاعدة فقط وهو لا يدل إلاّ على قاعدة عسكرية ولا يستبطن معنى التنظيم وأهدافه، واقترح أسماء أخرى، انظر: وثائق أبوت أباد، الوثيقة رقم SOCOM-2102-1111110.

[٢]- أسامة بن لادن، توجيهات منهجية (١)، منبر التوحيد والجهاد: www.tawhed.ws.

[٣]- المصدر نفسه.

[٤]- المصدر نفسه.

[٥]- المصدر نفسه.

من وجهة نظر قيادات في القاعدة ، متسبّباً بتشقق الصفوف ونأي بعض الجماعات الجهادية[1]العربية عن القاعدة وسعيها للخروج من أفغانستان.

ويبدو من نصّ "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين"، عام ١٩٩٦، أنّ بن لادن قرّر استهداف العدو البعيد (أمريكا)، بدلاً من الغرق في الصراعات المحلية مع النُّظُم الحاكمة التي استنزفت الحركات الإسلامية، ولأنّ الصراع الداخلي يحرم تلك الحركات من الدعم الشعبي، كما تضيع الأهداف الحقيقية ، لكن ما الهدف الآخر من هجمات ٢٠٠١، غير مّا هو متداول في أدبيات الجهاديين، أي استنزاف أمريكا اقتصادياً، وجرّها إلى مستنقع أفغانستان؟ إنّه الظهور الإعلامي الأقصى، والاستقطاب الشعبي الأكبر، والهيمنة على المشهد الجهادي ككل. وقد تحقّق لبن لادن كثير من هذه الغايات، لكن لمرحلة زمنية مؤقتة، فما إن هاجم التحالف الدولي بقيادة واشنطن، العراق عام ٢٠٠٣، حتى بدأت الأضواء تتركّز على مكان آخر وعلى شخص مختلف هو أبو مصعب الزرقاوي. وبدأت الجماعات الجهادية تتفلّت من هيمنة "القاعدة"، ومن توجيهاتها الاستراتيجية والأيديولوجية. فكان الانتشار الجهادي الأوّل من نوعه في العراق البلد النفطي ذي الأهمية الاستراتيجية، بمقابل الانحسار التدريجي لسلطة "القاعدة" المركز. وما كانت بيعة الزرقاوي لبن لادن، عام ٢٠٠٤، مع أنّ الثاني كان أضعف من الأول يومئذ، إلاّ وسيلة لاجتذاب كوادر "القاعدة" في المنطقة، والاستعانة بالماركة الجهادية الأكثر جاذبية في العالم، للتغلّب على الفصائل العراقية المنافسة للزرقاوي، كما للتيار المتشدّد الذي اندسّ في قاعدة العراق، بغية تنفيذ برنامجه الخاص ، وهو ما تبيّن في مرحلة متأخرة، بإعلان "دولة العراق الإسّلامية" في

[1]- استقال أبو حفص الموريتاني محفوظ ولد الوالد، من رئاسة اللجنة الشرعية لتنظيم القاعدة بسبب اعتراضه على خطط ضرب الولايات المتحدة، ولا أي قائد في القاعدة وافق على الضربات، باستثناء الظواهري، ولم يعلنوا مواقفهم في تلك المرحلة. انظر: مصطفى حامد وليا فارال، **العرب في حرب أفغانستان**، ص٨٣.

[2]- أسامة بن لادن، إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين، منبر التوحيد والجهاد. ويكشف أبو مصعب السوري أنّ بن لادن أراد تكرار السيناريو السوفياتي، فلما سقطت الشيوعية في موسكو سقطت معها كل الدول التي تدور في فلكها. انظر: **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**، ص٧٢٦-٧٢٧.

[3]- بعد نشر سيرة أحد أبرز قادة "القاعدة في بلاد الرافدين" ثم "الدولة الإسلامية"، وهو عبد الرحمن القدولي المعروف بأسماء عدة، أبرزها أبو علي الأنباري وأبو العلاء الدار إسلامي، وأبو صهيب العراقي، حيث تولى منصب نائب الزرقاوي ورئاسة مجلس شورى المجاهدين باسم عبد الله رشيد البغدادي، ونائب أمير الدولة البغدادي، يتبين مدى تأثيره في الفكر التكفيري لفرع القاعدة في العراق كما في داعش لاحقاً، انظر: أبا عبد الله الأنباري، **الوقف الداري في ترجمة الشيخ الأنباري**، مؤسسة التراث العلمي، ط١، ٢٠١٨.

١٥ تشرين الأول/أكتوبر عام ٢٠٠٦، بعد إنشاء مجلس شورى المجاهدين في ١٥ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٦ من تنظيم القاعدة العراقي وبعض الجماعات الصغيرة، وحلف المطيّبين في ١٢ تشرين الأول/أكتوبر من العام. وكان سقوط سوريا في الفوضى المسلّحة نهاية عام ٢٠١١، فرصة إضافية، للانعتاق نهائياً من القاعدة، وفق محورين: الأول هو "دولة العراق الإسلامية" وتحوّلاتها نحو الخلافة، والثاني هو الفصائل السورية الجهادية التي ابتعدت عن "القاعدة"، برعاية جهادييها القدامى في أفغانستان، وأبرزهم أبو خالد السوري محمد بهايا، راعي حركة أحرار الشام. وحتى أبو محمد الجولاني زعيم جبهة النصرة، النائي بنفسه ابتداء عن مشروع البغدادي مرتمياً في حضن القاعدة المركز بقيادة أيمن الظواهري، عام ٢٠١٣، اتخذ من بيعته المتعجلة للقاعدة وسيلة للاستقواء على راعيه السابق. وما إن التقط الفرصة المناسبة، حتّى تملص من ارتباطه بالقاعدة، بمناورة خادعة، منتقلاً من اسم إلى آخر، من جبهة النصرة في كانون الأول/ديسمبر عام ٢٠١١، إلى فتح الشام في تموز/يوليو ٢٠١٦، فهيئة تحرير الشام في كانون الثاني/يناير ٢٠١٧ [١].

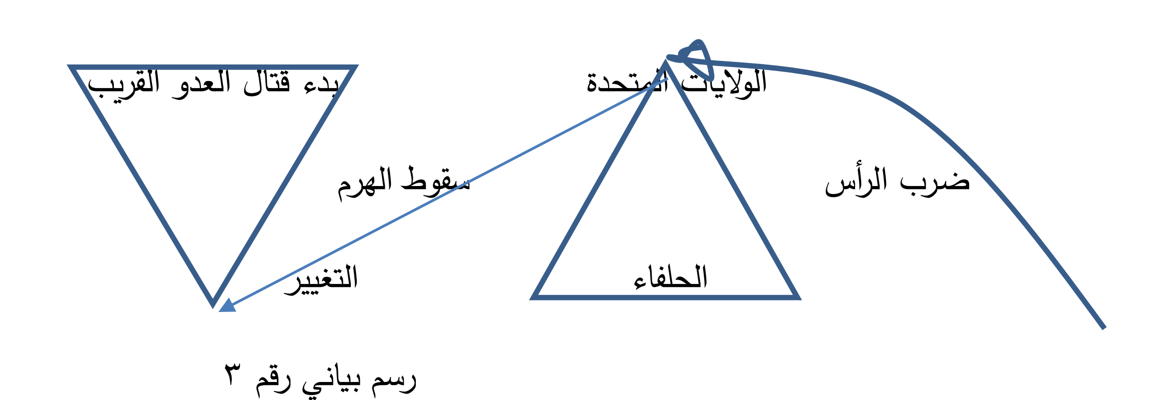
وتكشف الوثائق المصادرة من مجمع أبوت أباد، أنّ بن لادن، خلال سنوات الاختفاء بعيداً عن أعين المطاردين له، قد أجرى مراجعة للحسابات، فرأى أنّ لتلك الهجمات على الولايات المتحدة وجهين أحدهما إيجابي والآخر سلبي. فمن جهة، كشفت حقيقة الصراع، "واستيقظ العالم أجمع من الرقاد، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله. وانتشر الفكر الجهادي وسط الشباب، وتمثل ذلك في ارتياد الآلاف المواقع الجهادية" . لكن الآثار السلبية تمثّلت حسب بن لادن، باتساع جبهات القتال في الأقاليم، وانهماك أتباع القاعدة في قتال الأعداء المحليين، وهذا خلاف الأولويات الاستراتيجية للتنظيم، وازدادت الأخطاء التي سقط فيها مسلمون، فتسببت بخسارة جزء لا يستهان به من تعاطف المسلمين معهم. ولخّص بن لادن الموقف كله بقوله: "إنّ قيامنا ببعض العمليات التي لا تتوخى الحذر فيما تؤثّر على تعاطف جماهير الأمّة مع المجاهدين، سيؤدي إلى كسبنا لبعض المعارك وخسارتنا

وانظر كذلك مقال حسن حسن في مجلة أتلانتيك الأمريكية، الأصول الحقيقية لداعش، The True Origins of ISIS، ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر)، ٢٠٨١، وفيه يرى الكاتب أنّ الأنباري هو الذي أثّر في الزرقاوي، وليس العكس.

[١]- see: Zack Gold, Al-Qaeda-Syria (AQS): An Al-Qaeda Affiliate Case Study, CAN, October 2017.

[٢]- من وثائق أبوت أباد، الوثيقة رقم SOCOM-2102-1111100.

للحرب في نهاية المطاف" . ومن جهة أخرى، نجحت حركات المقاومة ضد العدو[1] الأجنبي في العالم الإسلامي، لأنّها عادةً تجتذب إليها التعاطف الشعبي، "فالشعب للحركة كالماء للسمكة، وأي حركة تفقد التعاطف الشعبي تضعف قوة الدفع إلى أن تتلاشى الحركة أو تكمن" .



رسم بياني رقم ٣

فاستراتيجية "ضرب رأس الأفعى" التي اجترحها بن لادن، لم تصمد كما يبدو، وانجرّ الجهاديون تلقائياً إلى قتال العدو القريب، وهو ما هدّد بهدر الجهود المبذولة من التنظيم لتجنيب الحركات المسلحة الوقوع في الفخ مجدداً، أي الانجراف في حروب أهلية تُفقدهم الدعم الشعبي وتعزلهم عن الجمهور، فيسهل القضاء عليها. لذلك، فإنّ بن لادن في رسالته إلى عطية الله الليبي واسمه الحقيقي جمال إبراهيم اشتيوي المصراتي، يضطر إلى شرح خطته مرّة بعد أخرى. فالتركيز ينبغي أن يكون على العدوّ الأكبر الخارجي قبل الداخلي، وإن كان الأخير أغلظ كفراً، أي المرتدّ من منظوره، إلاّ أنّ الأول أوضح كفراً أي الكافر الأصلي، كما أنّه أعظم ضرراً في هذه المرحلة وهو رأس الكفر. وهذه المعادلة غير تقليدية في الفقه الإسلامي، فالمرتد أو العدو الداخلي أولى بالتصدّي له من الكافر الأصلي، أي العدو الخارجي، إلا إذا كان العدو الخارجي في حالة هجوم مباشر على دار الإسلام . من ناحية أخرى، يظهر بن لادن متأثراً بتجربة الجهاد في أفغانستان ضد الاتحاد السوفياتي حين كان يرى إمكانية تكرار التجربة ضد

---

[1]- المصدر نفسه.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- هذا ما اعتمده تنظيم الدولة الإسلامية حيث رأى أنّ قتال المرتد أولى بالقتال من الكافر الأصلي، واتهمته الفصائل السورية في أدبيّاتها منذ اندلاع الصراع معه عام ٢٠١٤، بأنّه يقاتل المسلمين الذين يكفّرهم فيما يترك الكفار الأصليين، في إشارة إلى عمالتهم للنظام السوري.

الولايات المتحدة، وهو ما دفعه إلى استعجال الصدام معها رغم اعتراض معظم المحيطين به في مجلس شورى القاعدة. وكان الهدف الأساسي هو زيادة الضغط على أمريكا بعد ١١ أيلول/سبتمبر إلى أن يحصل توازن في الرعب، وتصبح تكلفة الحرب والاحتلال والهيمنة أكثر من عوائدها عليهم، ويصلون إلى حالة من الإجهاد تدفعهم إلى الرضوخ والانسحاب وإيقاف الدعم عن اليهود، ثم يكون مشروع البدء في إقامة الدولة المسلمة وإن تأخر سنة أو أكثر .[١]

أما من الناحية الإعلامية، فكان بن لادن حريصاً في سنواته الأخيرة على مراجعة الخطاب الإعلامي، بعدما أدرك تراجع شعبية القاعدة، ليكون هادئاً رصيناً مقنعاً سهلاً واضحاً ملامساً لقضايا الجماهير ومعاناتهم، لا ينفّر الناس مع تجنب العبارات التي يمكن استبدالها بغيرها ضمن الضوابط الشرعية دون التنازل عن المبادئ، باستخدام كلمات أو عبارات تؤدي المطلوب بهدوء. واستحداث وظيفة المدير العام لأقسام الإعلام في كل إقليم، فلا ينشر إصدار قبل اطلاعه عليه بما في ذلك خطابات القيادة، ويكون لديه حق إيقاف أي إصدار وردت فيه عبارة ترى أنها خارجة عن السياسة العامة سواء في المضمون أو التوقيت، ضارباً في ذلك أمثلة من خطابات ومواقف صدرت عن فروع من التنظيم في وقت غير ملائم حين كان الانتباه منصباً على أحداث في غزة، فتوحي للناس أن القاعدة منشغلة عن القضية الأساسية وهي فلسطين في مشكلات محلية مع الأنظمة. كما رأى بن لادن في كثرة الحديث عن المرتدين مما لا تفقهه جماهير الأمة، ولا تتفاعل معه، بل تنفر منه، ما يجعل الجهاديين يسيرون "في بيئة غير محتضنة للحركة الجهادية، ولا تمدّنا بالدعم لمواصلة الجهاد واستمراره"، داعياً إلى النظر في بث صور قتل المرتدين الذين يتعاونون مع الأمريكيين ومع الأنظمة .

ثالثاً، دولة بلا أرض لأرض بلا دولة

في سبيل إدراك الأبعاد الأيديولوجية لدولة البغدادي والتي تحولت إلى خلافة، لا بد من الرجوع إلى الخلاف الصامت بين القاعدة وفرعها في العراق أيام أبي مصعب الزرقاوي، والذي كشفت مضامينه مراسلات بين الجانبين، اتسمت من طرف المركز بتقديم التوجيهات الحاكمة على مسار العمل في العراق بشكل النصيحة أو التمنّي، فيما بدت لهجة الفرع بإزاء المركز نوعاً من التبرير الواقعي والشرعي

---

[١]- من وثائق أبوت أباد، SOCOM-2102-1111100.

[٢]- المصدر نفسه.

للأساليب المخالفة ليس فقط للتوجيهات المركزية، بل للاستراتيجية الأساسية والتي تقوم على أولوية قتال العدو البعيد، وهو هنا الجيش الأمريكي في العراق على قتال العدو القريب، وهو الحكومة العراقية المهيمن عليها شيعياً فضلاً عن القوى الشيعية والسُنّية المتحالفة مع الأمريكيين. وما يلفت النظر في رسالة الظواهري إلى الزرقاوي، ما أشارت إليه من تفضيل نائب بن لادن آنذاك، قيام الدولة الإسلامية في مصر والشام وما جاورهما في الجزيرة والعراق، في قلب العالم الإسلامي، بمعنى أنّه جعل الأولوية لقيام هذه الدولة خارج العراق، بل في أحد جناحي فلسطين المحتلة. وهذه إشارة خفية من الظواهري إلى زعيم قاعدة العراق أنّ دوره هو التمهيد وليس التأسيس لدولة الخلافة، فيما من الممكن أن تقوم في العراق إمارة مثلاً، في الطريق إلى الهدف المنشود. ورسم الظواهري للزرقاوي خارطة المراحل المتعاقبة لتحقيق هذا الهدف، وهي على التوالي: إخراج الأمريكان من العراق، إقامة سلطة أو إمارة إسلامية ثم تطويرها حتى تبلغ رتبة الخلافة، ومدّ الموجة الجهادية إلى ما جاور العراق. وقد تتزامن المرحلة مع ما قبلها وهي الصدام مع إسرائيل. لكن أبرز ما نبّه الظواهري إليه هو أنّ أقوى سلاح هو التأييد الشعبي. فلن تتم للحركة الإسلامية إقامة الدولة وهي في عزلة عن هذا التأييد بحيث تُسحق في الظلام، وينحصر الصراع بين النخبة والسلطة. أمّا الجماهير فلا يستفزّها إلاّ العدو الخارجي. والعنصر الطائفي في المرتبة التالية من الأهمية لدى الجماهير، بل هي لا تستسيغه .[1] وجاء كلام الظواهري رداً مباشراً على رسالة قبلها من الزرقاوي إلى بن لادن قبل إعلان بيعته للقاعدة، يشرح فيها استراتيجيته في العراق، وأبرز ما جاء فيها استخفافه بالعرب السُنّة في العراق واتهامه إياهم بالتراخي وقلة الخبرة، وأنّ العلاج لهذا الوضع، ومفتاح التغيير هو استهداف الشيعة في العمق الديني والسياسي والعسكري، ما سيستفزهم ويُظهرون كَلَبهم على أهل السنّة، "وإذا نجحنا أمكن إيقاظ السُنّة النائمين حين يشعرون بالخطر الداهم والموت الماحق" . ولما لم يلتفت الزرقاوي إلى توجيهات الظواهري، أرسل عطية الله الليبي رسالة بالمعنى نفسه . وكان الأستاذ السابق للزرقاوي، أبو محمد المقدسي عصام البرقاوي، قد انتقده في مسائل التوسع بالعمليات الانتحارية التي يسقط فيها أبرياء معصومو الدم، كما انتقد تطبيقات فتوى التترس بغير شروطها التي اتفق عليها العلماء. وقال: "فقد أصبح كثير من الشباب مُغرم بعمليات التفجير لضرورة أو غير ضرورة وكأنّ الجهاد لا يصلح إلا بالمتفجّرات". وأضاف: " يفاجئنا البعض بعمليات عجيبة وغريبة تحصد عشرات العراقيين

---

[1] – رسالة الظواهري إلى الزرقاوي، ٩ تموز/يوليو ٢٠٠٥م.

[2] – رسالة الزرقاوي إلى أسامة بن لادن، ١٥ شباط/فبراير ٢٠٠٤م.

[3] – رسالة عطية الله إلى الزرقاوي، ١٠ ذو القعدة، ١٤٢٦هـ.

هنا أو هناك بسيارات مفخخة توقف في شوارع بغداد أو بقذائف الهاون ترمى على السجون لتحصد عشرات العراقيين من المارة أو المسجونين". وهكذا "يُستعدى الشعب العراقي فبدلاً من تعاطفه مع المجاهدين والمقاومين تراهم يلعنونهم ويسبّونهم ويسعون لتسليمهم إلى الأمريكان" .

لكن لا تتوافر معلومات خارج هذه الرسائل بما يكمل الصورة، مع توارد الأنباء عن شكاوى عدة أرسلتها فصائل سُنّيّة مقاتلة في العراق إلى قادة القاعدة بسبب تعدّي جماعة الزرقاوي على أفرادها، وخاصة بعد مقتل زعيم قاعدة العراق عام ٢٠٠٦، ومن ثمَّ إعلان دولة العراق الإسلامية وبدء الصراع العسكري بين الفصائل على نحوٍ تصاعدي حتّى عام ٢٠١٠، بنشوء مشروع الصحوات الذي دعمته الفصائل المنافسة للقاعدة وكذلك العشائر المتضررة من تجاوزاتها. لكن السيرة المنشورة لأبي علي الأنباري نائب الزرقاوي في حياته، والتي كتبها ابنه عقب مقتله عام ٢٠١٦، تكشف أنّ الأنباري الذي كان رأس مجلس شورى المجاهدين باسم عبد الله رشيد البغدادي، سافر بهوية مزوّرة إلى باكستان مروراً بإيران، للقاء قيادة القاعدة، والردّ على اتهام جماعة أنصار الإسلام للزرقاوي بالتعدّي عليها في العراق، وذلك بعدما علم الزرقاوي أنّ وفداً من تلك الجماعة زار القاعدة للغرض نفسه. ويبدو من موقف القاعدة المركز بإزاء تلك الانتهاكات والمخالفات أنّها اتخذت موقفاً مؤيداً إلى جانب فرعها العراقي، إمّا خوفاً من انشقاقه عنها، أو لأنّ دبلوماسية المراوغة قد نجحت في خداع بن لادن ورفاقه .

وفي كل الأحوال، أظهرت المواقف اللاحقة لرموز داعش، بعدما قوي التنظيم، وصلب عوده، ورفضه كل المبادرات لوقف الاقتتال بينه وفصائل المعارضة السورية ومنها جبهة النصرة، بل تعالي التنظيم على القاعدة نفسها ونفيه كونه يوماً ما تابعاً لها، أنّ الجهاديين العراقيين كانوا منذ البدء يجاملون ويناورون، لضعف فيهم، ورغبة في الإفادة من اسم القاعدة معنوياً، في حين أنّهم يخالفون التوجّهات الفكرية والفقهية والعقدية لتنظيم القاعدة. وبدا ذلك أوضح ما يكون في كلمة الناطق باسم داعش أبي محمد العدناني صبحي فلاحة في أيار/مايو عام ٢٠١٤، تحت عنوان "عذراً أمير القاعدة" رداً على الظواهري. ففي هذه الكلمة الموجزة، أكّد العدناني أنّهم ينفذون كلمات وتوجّهات القاعدة حرفياً، واستهلّ خطابه بمقتطفات من رسالة قديمة لأسامة بن لادن بعنوان: "رسالة إلى أهل العراق خاصة والمسلمين

[1]- أبو محمد المقدسي، وقفات مع ثمرات الجهاد بين الجهل في الشرع والجهل بالواقع، سجن ققفقا الجمعة الأولى من ربيع الثاني ١٤٢٥هـ، منبر التوحيد والجهاد.

[2]- ورد في احدى مراسلات أبوت أباد ما يشير إلى وجود تململ من أعمال الزرقاوي باسم القاعدة وعن إعلان دولة العراق الإسلامية. انظر: الوثيقة رقم SOCOM-2102-1111110.

عامّة" ، وفيها يكفّر أي دولة تبيح محرماً كالربا مثلاً، كما يكفّر مَن يشارك في الانتخابات النيابية تحت الاحتلال الأمريكي للعراق، ليستنتج العدناني أن القاعدة بعد مقتل أسامة بن لادن قد انحرفت، فيما تنظيم الدولة هو من بقي على العهد.

وعلى الرغم من أن دولة العراق الإسلامية قدّمت ولاءها لتنظيم القاعدة لدى إعلانها، إلا أن العدناني أكد في خطابه هذا أنها كانت أقرب لأن تكون بيعة شكلية قوامها التواضع والتنازل لا التبعية أو الطاعة. فـ"الدولة ليست فرعاً تابعاً للقاعدة، ولم تكن يوماً كذلك، بل لو قدّر الله لكم أن تطؤوا أرض الدولة الإسلامية، لما وسعكم إلاّ أن تبايعوها وتكونوا جنوداً لأميرها القرشيّ حفيد الحسين، كما أنتم اليوم جنود تحت سلطان المُلاّ عمر، فلا يصحّ لإمارة أو دولة أن تبايع تنظيماً" . ودعا الظواهري إلى تصحيح منهجه؛ بأن يصدع بتكفير من أسماهم "الروافض المشركين الأنجاس"، وأن يصدع بـ "ردّة الجيش المصري والباكستاني والأفغاني، والتونسي والليبي واليمني وغيرهم مِن جنود الطواغيت وأنصارهم، واستبدال نعتهم بالمتأمركين وغيرها من النعوت، وتسميهم بما سمّاهم به رب العالمين: بالطواغيت والكفّار والمرتدّين، وعدم التلاعب بالأحكام والألفاظ الشرعية"؛ باستعمال كلمات معاصرة مثل: "الحكم الفاسد، والدستور الباطل، والعسكر المتأمركين" . وأضاف أنه على الظواهري دعوة المسلمين لجهاد وقتال[٣] أولئك كلهم، دعوة صريحة، بنبذ الألفاظ والمصطلحات الدخيلة على المجاهدين؛ كالمقاومة الشعبية، والانتفاضة الجماهيرية، والحركة الدعوية، والشعب، والجماهير، والكفاح، والنضال وغيرها، بألفاظ الجهاد الشرعية الواضحة، والدعوة الصريحة لحمل السلاح ونبذ السلمية، وخصوصاً في مصر .

وفي هذا الخطاب، يطرح العدناني حلاً وحيداً للخلاف بين القاعدة والدولة، وكان ما يزال يخاطب الظواهري باحترام، وهو أن يختار المسلمون رجلاً رشيداً "فيعلن على الملأ كفره بالطاغوت والبراءة من الكفر والشرك وأهله ويعلن بغضاءه لهم وحربه عليهم، فنبايعه على ذلك وننصّبه خليفة . ولعل كانت حيلة أخرى وأخيرة، لأن الشهر التالي شهد تطورات عسكرية دراماتيكية في العراق فسقطت الموصل بيد أتباع البغدادي، وأعلن نفسه خليفة، فلم يكن ثمة أمل بأي تفاهم أو تسوية بين الطرفين.

---

[١]- أسامة بن لادن، ١٥ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ – ٢٧ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٤م.

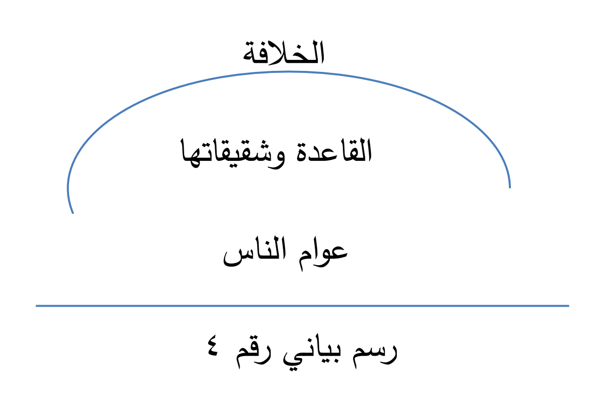
[٢]- أبو محمد العدناني، "عذراً أمير القاعدة"، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، رجب ١٤٣٥هـ – مايو ٢٠١٤م.

[٣]- المصدر نفسه.

[٤]- المصدر نفسه.

[٥]- المصدر نفسه.

وبالجملة، فإنّ شرعية الدولة والخلافة استطراداً، هي أعلى طبعاً من الشرعية الجهادية لتنظيم القاعدة، وعليها أن تبايع، مع فروعها، البغدادي ويكون الجميع تحت إمرته. وبالترافق مع ذلك، كانت الآلة الدعائية الضخمة ترسم الأحلام الوردية للخلافة التي هي على منهاج النبوة[١]، والتي تسلّم الراية إلى المهدي في آخر الزمان. وأسس القسم الإعلامي للتنظيم مجلة باللغة الإنكليزية[٢] تحمل اسم دابق في إشارة إلى ملاحم آخر الزمان[٣]، وذلك لاجتذاب أنصار القاعدة كما سائر المناصرين للّتيار الجهادي. فكان الهدف وراثة القاعدة بعد الانقلاب عليها، ومصادرة خطابها الأيديولوجي ورموزها التاريخيين.



رسم بياني رقم ٤

وإذا كان الداعشيّون التقطوا فرصة غياب بن لادن في أيار/مايو ٢٠١١، للانطلاق في مشروعهم بتسارع وتعجّل، بهدف وراثة القاعدة، فلأنّهم كانوا يدركون أنّهم عاجزون عن مقارعته وهو حيّ. فالقضية لديهم منذ تجربة القاعدة في العراق، هي الاستحواذ على أنصار القاعدة، وكان إعلان دولة العراق الإسلامية أواخر عام ٢٠٠٦، بما يعني إلغاء فرع القاعدة في العراق، مؤشراً على الخطة المبيّتة التي لم تتكشف إلاّ بعد سنوات. فالدولة هي الدولة، كما ردّد أنصارها في زمن الظواهري، والدولة لا تنزل

[١]- في الحديث النبوي الذي رواه الإمام أحمد أنه: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضّاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة".

[٢]- انظر: عبد الرزاق أجحا، **المبشّرات من خلال أحاديث الفتن والملاحم**، مؤسسة الوفا، ٢٠١٥. وهذا الأمر موجود بكثرة لدى أتباع القاعدة، انظر مثلاً: أبا مصعب السوري، **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**، خاتمة الكتاب مخصصة للملاحم والرايات السود والمهدي.

[٣]- في الحديث النبوي الذي رواه مسلم أنه:"لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق".

عند حكم تنظيم مهما علا شأنه، ولا تقبل بالتحكيم بينها وتنظيم خصم لها لدى أي لجنة أو محكمة . ومع تحكّم داعش بمساحات شاسعة في العراق وسوريا، وإعلان دولته العابرة لحدود سيكس بيكو، ثم خلافته، بات لهذا التنظيم الناشئ أفضلية كبرى على تنظيم القاعدة الذي لم يعلن دولته، بل كان بن لادن يرفض إعلان أي فرع من فروع التنظيم إمارة في موضعه، فيما هو يلتزم ببيعة أمير حركة طالبان في أفغانستان، والملاّ محمّد عمر ليس قرشياً، ولا يحق له أن ينافس أبا بكر البغدادي الحسني القرشي حسب أدبيّات التنظيم.

لقد كانت حجّة الفصائل العراقية في رفض "دولة العراق الإسلامية" عام ٢٠٠٦، أنّ أميرها مجهول الهوية، وأنّها لا تمتلك أرضاً بوجود الهيمنة العسكرية الأمريكية، وأنّ تمكينها ناقص فلا يحق لها ادعاء الولاية على بقية الفصائل وعلى الجمهور، وذلك ردّاً على قياس الرجل الثاني في الدولة الأولى أبي حمزة المهاجر عبد المنعم بدوي، دولة العراق الإسلامية من حيث المساحة والتمكين بالدولة النبوية في المدينة المنورة، باعتبار أنّ ما تسيطر عليه دولته أكبر بكثير مما كان يسيطر عليه النبي في المدينة قبل فتح مكة، وأن نوع التمكين الذي يتمتع به العراقيون أكبر من التمكين النبوي يومذاك . والنتيجة المتوخاة من هذا القياس، أنّ "دولة العراق الإسلامية" هي دولة حقيقية، وأنّ على كافة المسلمين طاعة أميرها أبي عمر البغدادي والانقياد له. لكنّ هذه المغامرة أفضت إلى عكس المأمول ، وانحسرت قوة التنظيم، وأصبحت شبح دولة بلا أرض، سوى الصحراء التي يرتع فيها المطارَدون. لكن الانتفاضة السُنّيّة في العراق عام ٢٠١١، وانتشار فوضى الربيع العربي وصولاً إلى سوريا المجاورة والتي كانت طوال سنوات الملاذ الآمن للجهاديين وممراً لهم إلى العراق، أعطت للبغدادي ورفاقه بقعة الضوء التي لم يكونوا يتوقعونها. فهيمن التنظيم بسرعة على مجريات الانتفاضة العراقية بعد تحوّلها إلى صراع مسلّح بين حكومة المالكي والعشائر في الأنبار أولاً، ثم أرسل زعيم التنظيم أبا محمد الجولاني إلى سوريا لإنشاء جبهة النصرة لأهل الشام، مع تدهور الأوضاع كذلك وبدء المناوشات العسكرية بين الجيش النظامي من

---

[١]– رفضت داعش كل الوساطات التي قام شيوخ محسوبون على التيار الجهادي وأبرزهم أبو محمد المقدسي، الذي يحتل مكانة خاصة لدى كثير من شرعيّي داعش وأفراده.

[٢] – أبو حمزة المهاجر، الدولة النبوية، تفريغ نخبة الإعلام الجهادي، ١٩ رمضان/١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨/٩/١٩م.

[٣]– see: Brian Dodwell, Daniel Milton, Don Rassler, Then and Now: Comparing the Flow of Foreign Fighters to AQI and the Islamic State, Combating Terrorism Center at West Point, December, 2016.

جهة والمنشقين عنه فضلاً عن مجموعات إسلامية كانت في طور التشكّل بعد خروج أفراد كثر من السجون بعفو رئاسي أو بأحكام مخففة. وهنا، تسارع التنافس بين داعش والفصائل السورية بعد إحكام سيطرة التنظيم على الفصائل العراقية السنّية. وفي اللحظة الحرجة، انشق الجولاني عن البغدادي ولجأ إلى قاعدة الظواهري مبايعاً إياه في ١٠ نيسان/أبريل ٢٠١٣، رداً فورياً على إعلان البغدادي قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام وإلغاء جبهة النصرة، وهو ما سمح لجبهة النصرة بالصمود أمام اجتياح داعش، وحرم التنظيم من السيطرة تماماً على الساحة السورية.

لقد كانت دولة البغدادي التجسيد العملي لفكر التكفير والإقصاء والإرهاب بما لا يقاس بما قبلها من تنظيمات جهادية متنوعة الأهداف والأساليب. ومضت سيرتها على خلاف كل التوجهات السابقة واللاحقة لتنظيم القاعدة ولرموز السلفية الجهادية. وباتت الأولوية لديها قتال من تعتبرهم مرتدين من أهل السُنّة، وابتكرت وسائل القتل الوحشي، من قطع رؤوس وتحريق وتغريق ودهس بالآليات الثقيلة إلى تعليق الجثث في الساحات العامة، وبثّت ذلك على الوسائل الإعلامية لا سيما التواصل الاجتماعي. وبالمقابل، حققت دولة البغدادي في زمن قصير جداً، ما لم تتمكن القاعدة من تحقيقه في سنوات طويلة، من خلال اجتذاب عشرات ألوف المقاتلين من كل أنحاء العالم، وتنفيذ عمليات إرهابية وإن كان ضد أهداف مدنية سهلة في بلدان عدة، لا سيما في الولايات المتحدة، وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا وتركيا، وسريلانكا، عبر خلاياها النائمة أو أفرادها العائدين من العراق وسوريا، فضلاً عن نشاطاتها في البلاد التي تتوطن فيها فروع وأذرع. ولما كانت أولوية داعش قتال العدو القريب أي المرتدين قبل قتال العدو البعيد، أي دول الغرب خاصة، فإنّ استدراج الولايات المتحدة إلى المنازلة مجدداً في العراق كما في سوريا، لا معنى له سوى محاولة مجاراة القاعدة في مغامراتها العسكرية، بل التفوّق عليها في هذا المجال.

رابعاً، الفراغ والتشظّي ما بعد داعش

تفوّقت داعش على "القاعدة" في مجالات الإعلام والتجنيد والتمويل فضلاً عن ادّعائها الشرعية الإسلامية من ناحيتين: الأولى بيعة أبي بكر البغدادي كخليفة، وتتبع له مساحة جغرافية شاسعة، والثاني تبنّي أيديولوجيا الصفاء العقدي ورفض البدع ومظاهر الشِرْك التي يرفل بها مخالفو الدولة، بحسب أدبياتها المنشورة. ومن أبرز الحجج المقذوفة على "القاعدة"، أنّ الدولة الإسلامية نفّذت أدبيات التيار

الجهادي دونما تحريف، من جهة، وأنها حقّقت المشروع الأساسي وهو إقامة الدولة الإسلامية، في قلب العالم العربي، من جهة أخرى، وهذا مشروع القاعدة أصلاً وقد بقي دون تنفيذ لسنوات طويلة، بانتظار نجاح استراتيجية ضرب رأس الأفعى، أي استنزاف الولايات المتحدة بما يضطرها إلى الانسحاب من المنطقة والتخلي عن النُّظُم السياسية المتحالفة معها، كما سبقت الإشارة إليه في رسائل بن لادن العلنية والمسرّبة.

بكلام آخر، فإنّ التيار الجهادي العراقي بعدما تحوّل إلى إمامة كبرى بالغلبة على "القاعدة" وأخواتها، والتغلّب على المجتمعات السُنّيّة في سوريا والعراق، باتت له اليد العليا في تقرير السياسات والاستراتيجيات. ورغم المعارضة المتردّدة لقيادة القاعدة بإزاء الخطب الجلل الذي أخذها على حين غرة، بين ترغيب وترهيب من جهة، والتصعيد التدريجي لدولة البغدادي ضد "القاعدة" من جهة أخرى، بدا أنّ الأضرار اللاحقة من هذا الخلاف الحاد، هي من الجسامة بحيث لا يمكن أن يعود الجسم الجهادي كما كان، فإخوة المنهج تقاتلوا بشراسة في سوريا واليمن وأفغانستان وليبيا والصومال، ولم يعد هناك مخرج من هذا المأزق سوى القضاء المبرم على أحد الطرفين، ليس مادياً وحسب، بل حتى في المجال التنظيري والأيديولوجي، علماً أنّ الجانب الثاني من الصعوبة بمكان، لأنّ الفريقين تشاركا لمدد زمنية طويلة رموزاً مشتركة، وأدبيات مشتركة. ومن هذه الناحية، كانت كفة "القاعدة" أرجح لأنّ كلّ شيوخ السلفية الجهادية المشهورين انحازوا ضد البغدادي، ولم يكن لدى "الدولة" ما يوازيهم شهرة أو قدرة على تقرير الأحكام وبذل الاجتهادات.

ويلحظ في هذا المجال أنّ التشققات لم تعد وقفاً على مسألة إعلان الدولة أم لا؟ وهل التوقيت مناسب للاستراتيجية التي خطّها بن لادن أم لا؟ وعندما انفصل تيارها المتشدد منهما والأكثر تشدداً، من وجهة نظر نسبية، بعد طول مناورة من أسامة بن لادن، من أجل الإفادة من قوّة المتشدّدين في الميدان، لتنفيذ برنامجه الطويل الأمد، كانت النتيجة كارثية في أوساط المناصرين والمحازبين على حد سواء، ما دفع كثيراً منهم إلى التبعثر يمنة ويسرة. لذا، انقسم التيار المعادي لداعش بدوره إلى جهاد محلي في سوريا، وإلى تنظيم جهادي عالمي بصورة مؤقتة مع جبهة النصرة. أما الجماعة المحلية، فهي حركة أحرار الشام، التي رعى نشأتها أبو خالد السوري رفيق درب أبي مصعب السوري، والسائر على درب توجيهاته في كتابه **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية** وفي غيره من الكتابات، فانعتق أفراد هذه الحركة

ذات الشعبية المتصاعدة ما بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٥، من إسار أدبيات الجهاد العالمي ومتطلبات تنظيم القاعدة .[١]

ففي مرحلة ما بعد هجمات ١١ أيلول/سبتمبر، برز مصطفى ست مريم نصار المعروف باسم أبي مصعب السوري، وهي جهادي سوري قديم، كان عضواً في تنظيم الطليعة المقاتلة في زمن الصِّدام بين الإخوان المسلمين نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن العشرين. ثم خرج من سوريا وطاف في بلدان عربية عدة قبل الالتحاق بأفغانستان ولقاء عزّام وبن لادن والظواهري. وهناك صاغ أبو مصعب نظريته الخاصة تحت عنوان المقاومة الإسلامية العالمية، وسطّر الفكرة في كتاب ضخم أصدره من مخبئه في باكستان عام ٢٠٠٤، قبيل اعتقاله. ويتضمن الكتاب انتقادات واسعة لعمل الجماعات الجهادية و"القاعدة" ضمناً ، ويحمّل هجمات ٢٠٠١ في الولايات المتحدة مسؤولية ماّ نتج عنها من حملة عالمية للقضاء على الجسم الجهادي في أفغانستان وتشريده في أنحاء العالم. وأبرز ما جاء في الكتاب، أنّ على الجهاديّين نبذ المسائل الخلافية مع قواعد الجماعات الإسلامية والتركيز على القواسم المشتركة ، والتحرك سياسياً إلى أي مجموعة أو حزب حتى لو كان غير إسلامي، وحتى التواصل مع الشرائح السياسية التي يمكن التعاون معها في أوروبا والولايات المتحدة ، "ولكي تحقّق المقاومة أهدافها ومن باب ترتيب [٤] الأولويات وتقديم المهم على الأهم، واستجلاب المصالح ودفع المفاسد [...] علينا أن ننشغل بالمسائل المحدودة ضمن إطار حدود دائرة الصراع"، وعدم الاهتمام بالمسائل الخلافية التي تقع خارج دائرة الصراع، وخارج وظيفة المقاومة . والهدف الأساسي من استعمال عبارة المقاومة وليس[٥]الجهاد، هو

---

[١]- see: Michael Jonsson, Bidding its time: The Strategic Resilience of Ahrar al-Sham, Asian and middle eastern security program, December 2016.

[٢] – يبدو أنّ أبا مصعب السوري، كان يسعى إلى الاستقلالية عن القاعدة بدليل دعوته إلى جبهة عالمية لا تحمل اسم القاعدة، وفي منتصف عام ٢٠٠٠ تردد أنه ابتعد عن القاعدة واقترب أكثر من حركة طالبان. انظر:

Brynjar Lia, *Architect of global jihad, the life of al-qaida strategist abu mus'ab al suri*, United Kingdom, Hurst Publishers limited, 2007, 293-296.

[٣]- أبو مصعب السوري، **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**، ج٢، ص١١١٢.

[٤]- المصدر نفسه، ص١١٣٨-١١٣٩.

[٥]- المصدر نفسه، ص١١٠٨-١١٠٩.

الخروج من دائرة الاتهام بالإرهاب، ومحاولة كسب الرأي العام داخل العالم الإسلامي وخارجه، والتحالف مع أوسع نطاق ممكن من القوى الإسلامية وغير الإسلامية أيضاً .

وتكمن أهمية طرح أبي مصعب السوري، في المستوى الجهادي خاصة، أنّه يحاول كسر حلقة الانغلاق الأيديولوجي الذي تمثّله أدبيات الدعوة السلفية النجدية، والتي تعيق التواصل مع الجماعات الأخرى غير السلفية، وتضع حواجز أمام انتشار الفكر الجهادي لدى عامة الناس، بسبب المسائل التقليدية التي هي مدار خلاف عميق بين السلفيين وسواهم من التيارات الإسلامية، والتي تفضي إلى التبديع في أقل مستوى، صعوداً إلى التكفير. أمّا الميزة الأخرى، فهي إدخال المنهج السياسي في حركية العمل الجهادي، وهو الأمر الذي افتقده أبو مصعب السوري لدى معاينته أفواج المتدربين في معسكرات القاعدة وغيرها في أفغانستان. وقد انعكس هذا الفكر في رفيق درب أبي مصعب السوري، في أيام الطليعة المقاتلة وفي أفغانستان، وبعد الخروج منها إثر الحملة على طالبان أواخر ٢٠٠١، وهو أبو خالد السوري. وقد خرج من سجن صيدنايا كما خرج غيره من الجهاديون بأحكام تخفيفية عام ٢٠١١، إثر انطلاق التظاهرات ضد النظام السوري. وكان لأبي خالد السوري دور تأسيسي في قيام حركة أحرار الشام كبرى الفصائل الإسلامية المسلّحة، وفي ابتعادها عن فكر "القاعدة"، وفي انتهاج العمل الشعبي والسياسي، على منهاج أبي مصعب، وفي مواجهة داعش بحدّة، ما أودى بحياته في اغتيال نظمه أعضاء داعش في ٢٣ شباط/فبراير ٢٠١٤. وعلى الرغم من مقتل الجيل الأول من حركة أحرار الشام في عملية غامضة عام ٢٠١٥، إلا أنّها استمرت في معارضتها المنهج القاعدي، الذي مثّلته جبهة النصرة. حتى إنّها اصطدمت عسكرياً معها أكثر من مرّة، رغم فكّ الارتباط بين "النصرة" و"القاعدة" عام وذلك بين عامي ٢٠١٦ و٢٠١٨ على وجه الخصوص، ما أدى إلى اضمحلال قوتها بعدما كانت الفصيل المسلح الأكبر في السنوات الأولى للثورة السورية. وعانت حركة أحرار الشام كما هيئة تحرير الشام، من انشقاقات وتحوّلات في الولاء التنظيمي، والذي يعود بالدرجة الأولى، إلى الضبابية الفكرية التي نتجت عن خروج كلا الحركتيْن من رحم "القاعدة"، لكن ما أودى بأحرار الشام، مقتل قادتها التاريخيين في انفجار غامض في ٩ أيلول/سبتمبر ٢٠١٤، وضياع فكري بين الانقطاع عن الفكر السلفي الجهادي وتبني مفهوم الديمقراطية على الطريقة الإخوانية.

[١]- المصدر نفسه، ص١١٤٣-١١٤٤.

ومن جهة ثانية، لم تسلم هيئة تحرير الشام من انشقاق خطير لأنه ذو طابع أيديولوجي، وذلك كأثر من آثار فكّ الارتباط الملتبس عن تنظيم القاعدة المركز، حيث تبيّن أنّه كان مشروطاً بإنجاز الوحدة مع الفصائل السورية الأخرى. ولما ظهر بعد فوات الأوان، أن الجولاني تذرّع بمشروع الوحدة مع الفصائل للخلاص من بيعة القاعدة، أصدر الظواهري خطاباً في تشرين الثاني/نوفنبر ٢٠١٧، بعنوان "لنقاتلهم بنياناً مرصوصاً"، اتهم فيه الجولاني بنكث العهد ونقض البيعة، وأنه بدل توحيد الفصائل أنشأ فصيلاً جديداً، فزادت الفرقة . وفضلاً عن ذلك، فإنّ سياسات الجولاني بإزاء التطورات[1] المتسارعة في الشمال السوري والتي جعلت منطقة إدلب محاصرة فعلياً بالنفوذ التركي شمالاً والنفوذ الإيراني الروسي جنوباً، بدت للتيار المتشدد الملتزم بالبيعة للظواهري، وكأنّها تمييع للعقيدة، وولاء لدولة كافرة هي تركيا بحسب أدبيّات أبي محمد المقدسي وحليفه الدكتور طارق عبد الحليم، أو في أقلّ تقدير، التعاون مع السلطات التركية في تسليم أفراد تابعين لداعش، وفي اعتقال محسوبين على التيار القاعدي في أماكن نفوذ الهيئة، بمقابل الدعم الذي يمنحه أبو قتادة الفلسطيني عمر محمود، لهيئة تحرير الشام، وهو منظّر قديم للسلفية الجهادية، وله فتاوى مثيرة للجدل، في العشرية السوداء في الجزائر، ابتداء من عام ١٩٩١ بعد إلغاء الجولة الثانية من الانتخابات. وهذا ما دعا المسؤول الشرعي فيها وهو عبد الرحمن عطون المعروف باسم أبي عبد الله الشامي للرد على المقدسي، ثم على الظواهري الذي انتقد الجولاني علناً لأوّل مرة ، فيما تولى سامي العريدي الشرعي السابق في جبهة[2] النصرة توجيه الانتقادات لقيادة الجولاني. فتحت عنوان "لا تكن أبا شبر ولا تتبع أبا شبر في الجهاد" يعرّض سامي العريدي بالجولاني وسياساته، مستعيناً بما كتبه أبو عطية الله الليبي من قبل، "لا يكاد يمضي على الواحد بضع سنين في الجهاد، إلاّ ويرى نفسه إماماً في الجهاد وحكيماً من حكمائه، فيأخذ ينظّر ويتطاول على أسياده من العلماء وقادة الجهاد، ويرى أنّهم ليسوا بشيء، وأنّ منهجهم لا يصلح اليوم، ويطرح منهجاً وسياسة جديدة تنتهي بهم ليكونوا تجربة محسنة للإخوان المسلمين في أحسن أحوالها، فينتهي بهم المطاف من حيث بدأ الإخوان مع بعض التعديلات. وإنّ راية الجهاد لا بد أن تكون في الأيدي الأمينة، وما هي الأيدي غير الأمينة؟ أنّهم أناس يريدون أن يقودوا الجهاد، وأن يمسكوا بزمام الأمور وليس عندهم من المؤهلات لذلك. ولا يمكن أن تسلم الأمور إلى من يمكن ويتوقع منه أن يرضى غداً وبعد غد بشيء من الفتات يلقى له من

---

[1] – أيمن الظواهري، "فلنقاتلهم بنياناً مرصوصاً"، مؤسسة السحاب، ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٧م.

[2] – ردّ الشامي على انتقادات المقدسي في "رسالة محبّ" في شباط (فبراير) ٢٠١٧، كما الشامي على الظواهري في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٧.

العدو ويرضى بأنصاف الحلول والتسويات. ولن تقبل الحركة الجهادية أن تسلّم القيادة لأخلاط من الفكر الإخواني والبعثي والوطني والقومي وغيره ممن لم يمحصوا جيداً ولم يحصل الوثوق بهم جيداً" . ومن غير المتوقع تبعاً لذلك، أن تنجح أي مساعٍ لعودة المنشقين إلى جسم هيئة تحرير الشام بعدما تشكّلوا باسم جماعة حراس الدين عام ٢٠١٨ وباتت لهم هيكليتهم المستقلة وجبهاتهم الخاصة، رغم محاولات قمع بروز هذا التشكيل المسلّح الجديد.

لذا، ومع الاشتباك الفكري والعقدي غير المسبوق، بين الشيخين المقدسي والفلسطيني، بواسطة أتباعهما وليس مباشرة، فإن ما يجري يمكن اعتباره محاولة كلٍّ منهما إلى الإمساك بالتيار الجهادي ما بعد أسامة بن لادن، وفق النظرة المختلف عليها بينهما بإزاء كيفية إطلاق التكفير وشروطه، والعمل التنظيمي وأبعاده، والارتباط تنظيم القاعدة. فأبو محمد المقدسي، يكفّر المنخرطين في العمل الديمقراطي، ترشحاً وانتخاباً ، فيما لا يكفّر أبو قتادة الفلسطيني بالمطلق الذين يدّخلون البرلمانات ويخوضون الانتخابات النيابية، وإن كان يخطئهم لوجود شبهة في فهمهم معنى الديموقراطية وفي فهم الواقع . والمقدسي يؤيد الارتباط بالقاعدة كما هو ظاهر من دعمه لفرعها في سوريا، فيما يؤيد الفلسطيني الخروج

[1] – من مجموعة كلمات عطية الله الليبي، ص٥٨٩–٥٩٠.

[2]– انظر: أبا محمد المقدسي، **الجواب المفيد بأن المشاركة في البرلمان وانتخاباته مناقضة للتوحيد**، منبر التوحيد والجهاد، ١٤٣١هـ/٢٠١٤م. وانظر أيضاً كتابيه: **ملة إبراهيم، والديمقراطية دين.**

[3]– انظر: أبا قتادة الفلسطيني، **شبهة الانتخابات وحكم من يفتي بجوازها**، تحقيق وتخريج أبي محمود الفلسطيني، مؤسسة البشريات، قسم التفريغ والنشر، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

من ربقة التنظيم. ووصل الاصطدام بين الرجلين إلى درجة تبادل الاتهامات بين أنصارهما . وذلك بالرغم من أنهما اتحدا ضد تنظيم الدولة، ووقفا بشدة ضد ادعاءات البغدادي، بصحة خلافته ووجوب طاعته .

وفي المعسكر الآخر، برز انقسام خطير داخل صفوف أتباع داعش، بين تيارين الأول يمثله أنصار تركي البنعلي والثاني أتباع أحمد بن عمر الحازمي ، وقد تناوب التيّاران على السيطرة على مفاصل دولة الخلافة، من ضمن ما سمي باللجنة المفوضة لإدارة الولايات وهي بمنزلة الحكومة أو الجهاز الإداري التنفيذي . فصدر على سبيل المثال، مقال تحت عنوان: القول ٱلندي في كفر دولة البغدادي، للتيار الحازمي، يطرح فيها تساؤلات عدة تعليقاً على كلام العدناني: (هذه قاعدةُ الجهاد التي عرفناها، وهذا منهجُها). وهو متناقض في ذاته، بنظر المنشقين، ويدل على كفر "الدولة الإسلامية"، وذلك لأنّ هذا هو منهج القاعدة منذ نشأتها لم تغيّر ولم تبدّل، وتتلخّص ضلالات عقيدة القاعدة الواضحة فيما يلي: تنفير الشباب عن تكفير المشركين وصدّهم عن ذلك وهذا ظاهر في خطابات أسامة بن لادن والظواهري والليبيّين وعودتهم لتقديم القتال على العلم الشرعي وتعلم التوحيد، والاختلاف في تكفير جنود الطاغوت وجعل هذا الأمر مما يستساغ الخلاف فيه، وتخطئة من أقدم على تكفير المشركين وتبرأ

---

[1]– اتهم أبو محمود الفلسطيني وهو أحد التلامذة المقربين من أبي قتادة، المقدسي بأنه سبب انتشار الغلو بين أنصار الجهاد، وأنه محامي الدواعش، فيما شنّ طارق عبد الحليم حملات منسقة على الفلسطيني مشككاً بكفاياته العلمية ومعتبراً إياه منحرفاً عن آرائه السابقة، فضلاً عن انخراط حسابات رديفة للمقدسي أو مؤيدة له على التلغرام، لا سيما حساب ورثة المجد. وفي الإطار نفسه، دار جدل كبير حول مكانة كلّ من المقدسي والفلسطيني، في التيار السلفي الجهادي، وتحديداً دورهما في الجهاد الأفغاني، وفي تدريس كوادر القاعدة في أفغانستان، والغاية واضحة وهي تثبيت مرجعية معينة في التيار أو نفيها، في وقت يشهد تنظيم القاعدة فراغاً على مستوى القادة. انظر قنوات التلغرام لأبو محمود الفلسطيني، وطارق عبد الحليم، وقناة البينة، وقناة ورثة المجد.

[2]– انظر أبا محمد المقدسي، لماذا لم أسمهم حتى الآن خوارج رغم أن فيهم من هم أسوأ من الخوارج، رمضان، ١٤٣٥هـ، وأبا قتادة الفلسطيني، **ثياب الخليفة**، نخبة الفكر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، مع العلم أن أبا قتادة قال عنهم إنهم خوارج بخلاف االمقدسي.

[3] – ويلقب بأبي همام الأثري، من المحرق بالبحرين، تولى منصب القاضي الشرعي العام في التنظيم، وقتل في غارة أمريكية على مدينة الرقة السورية، في ٢٨ أيار/مايو ٢٠١٧.

[4] – هو شيخ سعودي من مكة، معروف بتضلعه بعلم الحديث واللغة العربية، وبمسألة عدم إعذار الجاهل في مسائل الكفر.

[5]– أصدرت اللجنة المفوضة التي يسيطر عليها الحازميون تعميماً بعنوان (ليهلك من هلك عن بينة) يحكم بكفر من لم يكفر الكافر أو من وقع في نواقض الإيمان برأيهم، وذلك في ٢٠١٧/٥/١٧، فاعترض البنعلي على التعميم الحاوي على أخطاء شرعية، وأن هذا من اختصاص المكتب المركزي لمتابعة الدواوين الشرعية".

منهم". وأضاف: "لماذا سكتت الدولة عن انحراف الظواهري طول هذه المدة؟ ولماذا سكتت عن الظواهري حتى ظهر الخلاف بينهم في سوريا؟ وما نتيجة انحراف القاعدة أهو انحراف كفر أم انحراف بدعة وضلال؟ وما حكم فروع القاعدة التي ما زالت لها بيعة لقيادتها مع علمها بحالها؟ ما حكم فروع القاعدة إذا تمسكت ببيعتها رصاً للصفوف ودرءاً للتفرقة؟ لماذا أصدرت الدولة بيانا في نفي تكفير الظواهري وقالت عنه حفظه الله؟ ما الفرق عند الدولة بين دولة الطالبان وأي دولة وطنية أخرى مع تشابه خطاباتهم مع الدول الوطنية؟ لماذا بدأ بعض أنصار وأتباع الدولة بالتعريض بمنهج الطالبان بعد ما أثير عن أنّ الملا عمر هو الخليفة وليس البغدادي؟ لماذا تسكت الدولة عن بيان ضلال الطالبان ذات الدستور الوضعي؟" . كما أصدر التيار البنعلي رسائل أخرى، تفضح المستوى[1] في غلو الدولة المزعومة وجهل قادتها ومسؤوليها، لا سيما **النصيحة الهاشمية لأمير الدولة الإسلامية** و**كفوا الأيادي عن بيعة البغدادي**. ففي الرسالة الأولى، اتهام بانحراف المنهج وانقلاب المبادئ والجنوح نحو الغلو وتبديع الأسلاف وتكفير الأخلاف، وتولية أهل البدع والجهل وقلة الورع والعلم أخطر الولايات والمناصب الشرعية . حتى إن من صنف يوماً لهذه الجماعة "**مدوا الأيادي[2] لبيعة البغدادي**" ويقصد به تركي البنعلي، صار يرمى بالشرك والردة، ويلعن في المساجد والمعاهد . وقُتل القاضي أبو عبد البر الصالحي الكويتي في سجن التنظيم . فضلاً، عن شيوع ما اعتبرته الرسالة الخلل العقدي و[4]الانحراف السلوكي والعجز القيادي لا سيما في المعارك، وحالات التعذيب المنهجي في السجون . أما الرسالة الثانية، وهي لكاتب النصيحة أيضاً، وبعد أن ذكرت إنجازات الدولة البغدادية ، أكدت عدم صلاحية البغدادي للإمامة، وأفردت فصلاً لبيان أوجه سقوط ولايته شرعاً، وهي تسعة: ظلمه، وإضاعة مقاصد الإمامة أي حراسة الدين وسياسة الدنيا، والإخلال بعقد البيعة، وبدعته وتكفيره المسلمين واستحلال دماؤهم، وامتناعه عن

[1] – أبو جعفر الشامي، القول الندي بكفر دولة البغدادي، (٢٠١٧/٤/١٣)، وذكر المقال أسماء أفراد من داعش تعتقلهم وتقتلهم لأنهم يكفّرون العاذر بالجهل.

[2]– أبو محمد الهاشمي، **النصيحة الهاشمية لأمير الدولة الإسلامية**، شوال ١٤٣٨هـ، ص٨-٩.

[3]– المصدر نفسه، ص١١.

[4]– المصدر نفسه، ص١٣.

[5] – المصدر نفسه، ١٨-٢١.

[6] – أبو محمد الهاشمي، **كفوا الأيادي عن بيعة البغدادي**، رجب، ١٤٤٠هـ، ٢٥-٢٨.

النزول لحكم القضاء، وتسببه بانتهاك الحرمات لرفضه خروج العوائل من الموصل، وتعطيل أحكام شرعية وتشريع أخرى، وإلغاء الشورى، وتغلبه من دونه عليه .[١]

الخاتمة:

إنّ أفق مرحلة ما بعد داعش يبدو ضبابياً إلى حدٍّ كبير. فهل تستعيد القاعدة ريادة التيار الجهادي، وهي التي تمرّ بمرحلة شيخوخة مبكّرة، بسبب مقتل بن لادن وأبرز قيادات الصف الثاني، واستلام أيمن الظواهري الكبير سنّاً والمختفي إعلامياً، إلى جانب مجموعة من الكوادر غير المعروفين؟ أم تندمج فلول داعش مع فلول القاعدة لتشكيل جسم متجدّد يمكن أن يملأ الثغرات والفراغات في هيكلية التنظيم الجديد، علماً بأنّ هذا الخيار يبدو أقرب إلى التفكير النظري لانعدام الثقة بين الفريقين، وغدر التيار الأكثر تشدداً بالأقل منه، لما يتضمّن موقفه الضمني والعلني من تكفير المخالف دون هوادة، واختراقه شبكات القاعدة الإعلامية من خلال المنتديات الجهادية والمؤسسات الإعلامية، كما اجتذابه أعدادا كبيرة من أنصار القاعدة في العالم إلى صفوفه. وهل هناك أفق لظهور جماعات جهادية تخرج من عباءة القاعدة وداعش، وتندمج مع الحاضنة الشعبية في بلدان الثورات والعنف المسلح؟

إنّ الاحتمالات واردة بنسب متفاوتة، فقد تعود "القاعدة" بثوب جديد وقيادة جديدة بعد استنفاد أدوار وأعمار الجيل الأول. لكن الظروف اختلفت جذرياً عن ما قبل ٢٠٠١، حتّى أوزان القوى الكبرى تتبدّل بسرعة، ولم يعد الخطاب المكرور ليشدّ الانتباه أو يجذب الشباب، لا سيّما بعد الآثار الكارثية على سمعة الإسلام والمسلمين في كلّ مكان، عقب العمليات الإرهابية التي زادت أضعافاً مع تنظيم الدولة. أمّا مصير داعش، فمن المرجح أن تستمر فلول التنظيم في العمل سراً وعلناً في أماكن نائية، ولسنوات طويلة، ما دامت موارد التنظيم لم تستنفد بعد، بسبب الغنائم الكبيرة التي حصل عليها في السنوات الثلاث الماضية. وتبقى احتمالات ظهور جماعات جهادية قائمة بوجود أسبابها والظروف الملائمة، وهذا الجهاد المحلّي كان قبل القاعدة، وقد يستمرّ بعدها وإن تعرّض للفشل مرة بعد أخرى، إلى أن تكون علاجات مناسبة، لهذا العنف المجتمعي.

****

[١]- المصدر نفسه، ص٦٧-١٥٥.

المصادر والمراجع المطبوعة:

- تركي البنعلي، **مدوا الأيادي لبيعة البغدادي**، مكتبة الهمة، الدولة الإسلامية.
- سالم البهنساوي، **الحكم وقضية تكفير المسلم**، المنصورة، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٤.
- سيّد قطب، **معالم في الطريق**، القاهرة، دار الشروق، ط٦، ١٩٧٩.
- سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، القاهرة، دار الشروق، ط٣٢، ٢٠٠٣.
- عباس السيسي، في قافلة الإخوان المسلمين، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣.
- عبد الله أنس، **ولادة الأفغان العرب، سيرة عبد الله أنس بين مسعود وعبد الله عزّام**، بيروت، دار الساقي، ط١، ٢٠٠٢.
- محمد قطب، **واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.**
- محمود سعيد عزّام، **موسوعة الذخائر العظام فيما أُثر عن الإمام الهمام الشهيد عبد الله عزّام، مركز الشهيد عزام الإعلامي، بيشاور، ط١، ١٩٩٧.**
- مجلة الجهاد، العدد السابع والثلاثون، ربيع الثاني ١٤٠٨هـ الموافق ديسمبر ١٩٨٧م.

Brynjar Lia, *Architect of global jihad, the life of al-qaida strategist abu mus'ab al suri*, United Kingdom, Hurst Publishers limited, 2007.

Jason Burke, *Al-Qaeda*, *The True Story of Radical Islam*, Penguin books. Third edition, 2007.

Rohan Gunaratna, *Inside Al-Qaeda, Global Network of Terror*, New York, Columbia University Press, 2002.

المصادر الإلكترونية

- أسامة بن لادن، توجيهات منهجية (١)، منبر التوحيد والجهاد.

- أسامة بن لادن، رسالة إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة، ١٥ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ - ٢٧ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٤م.

-أبو جعفر الشامي، القول الندي بكفر دولة البغدادي، موقع مصباح الظلام، (٢٠١٧/٤/١٣) mesbeh.blogspot.com.

- أبو حمزة المهاجر، **الدولة النبوية**، تفريغ نخبة الإعلام الجهادي، ١٩ رمضان/١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨/٩/١٩م.

- عبد الرزاق أجحا، **المبشّرات من خلال أحاديث الفتن والملاحم**، مؤسسة الوفا، ٢٠١٥.

- أبو قتادة الفلسطيني، **شبهة الانتخابات وحكم من يفتي بجوازها**، تحقيق وتخريج أبي محمود الفلسطيني، مؤسسة البشريات، قسم التفريغ والنشر، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

- أبو قتادة الفلسطيني، **ثياب الخليفة**، نخبة الفكر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- أبو عبد الله الأنباري، **الوقف الداري في ترجمة الشيخ الأنباري**، مؤسسة التراث العلمي، ط١، ٢٠١٨.

- أبو عبد الله الشامي، "رسالة محبّ" ردّ على المقدسي، في شباط /فبراير، ٢٠١٧.

- أبو عبد الله الشامي، ردّ على الظواهري، كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٧.

- عطية الله الليبي، مجموع كلمات عطية الله الليبي.

- عطية الله الليبي، رسالة إلى الزرقاوي، ١٠ ذو القعدة، ١٤٢٦هـ.

– أبو محمد العدناني، "عذراً أمير القاعدة"، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، رجب ١٤٣٥هـ/ مايو ٢٠١٤م.

– أبو محمد المقدسي، **ملة إبراهيم**، منبر التوحيد والجهاد.

– أبو محمد المقدسي، **الديمقراطية دين**، منبر التوحيد والجهاد.

– أبو محمد المقدسي، وقفات مع ثمرات الجهاد بين الجهل في الشرع والجهل بالواقع، سجن قفقفا الجمعة الأولى من ربيع الثاني ١٤٢٥هـ، منبر التوحيد والجهاد.

– أبو محمد المقدسي، **الجواب المفيد بأن المشاركة في البرلمان وانتخاباته مناقضة للتوحيد**، منبر التوحيد والجهاد، ١٤٣١هـ/٢٠١٤م.

– أبو محمد المقدسي، لماذا لم أسمهم حتى الآن خوارج رغم أن فيهم من هم أسوأ من الخوارج، رمضان، ١٤٣٥هـ.

– أبو محمد الهاشمي، **النصيحة الهاشمية لأمير الدولة الإسلامية**، شوال ١٤٣٨هـ.

– أبو محمد الهاشمي، **كفوا الأيادي عن بيعة البغدادي**، رجب ١٤٤٠هـ.

– مصطفى وليا فارال في حوار، **العرب في حرب أفغانستان:**

https://www.mafa.world/2016/11/24;.

– أبو مصعب الزرقاوي، من أبي مصعب الزرقاوي إلى الشيخ أسامة بن لادن، ١٥ شباط/فبراير ٢٠٠٤م.

– أبو مصعب السوري، **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**، ٢٠٠٤.

– أيمن الظواهري، رسالة إلى الزرقاوي، ٩ تموز/يوليو ٢٠٠٥م.

– أيمن الظواهري، **فرسان تحت راية النبي**، ط٢، مؤسسة سحاب، شعبان ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

– أيمن الظواهري، "فلنقاتلهم بنياناً مرصوصاً"، مؤسسة السحاب، ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٧م.

- تعميم اللجنة المفوضة في دولة البغدادي، "ليهلك من هلك عن بينة"، ١٧/٥/٢٠١٧.

- وثائق أبوت أباد.

Brian Dodwell, Daniel Milton, Don Rassler, Then and Now: Comparing the Flow of Foreign Fighters to AQI and the Islamic State, Combating Terrorism Center at West Point, December, 2016.

Hassan Hassan, The True Origins of ISIS. https://www.theatlantic.com/ideas/archive/2018/11/isis-origins-anbari-zarqawi/577030/.

Michael Jonsson, Bidding its time: The Strategic Resilience of Ahrar al-Sham, Asian and middle eastern security program, December 2016.

Zack Gold, Al-Qaeda-Syria (AQS): An Al-Qaeda Affiliate Case Study, CAN, October 2017.